جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

تعليل التسمية
في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير
جمعاً ودراسة

الدكتور
ربيع شعبان السيد على
مدرس بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية
إيتاي البارود - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار وتابعيه الأخيار ومن سار على هديهم إلى يوم الدين وبعد ،،،،،

فإن القرآن الكريم هو أعظم هدية من الله تعالى لخلقه، لأن الله تعالى لم يفرط فيه من شيء، وقد تكفل الله تعالى بحفظه، ومن مظاهر هذا الحفظ أنه جعل القلوب والأبصار تهفو إليه وتتعلق به على مر الزمان.

ففي القديم ظهرت التفاسير المتعددة التي حملت صفات أصحابها، فمنها ما كان يفسر القرآن بالمأثور، ومنها ما غلب عليه الطابع البلاغي، ومنها ما غلب عليه الطابع اللغوي والصوفي، والفقهي.... إلى آخر تلك التفاسير.

وفي الحديث ظهرت الدراسات المختلفة حول القرآن الكريم من دراسات لغوية ونحويه وصرفيه وبلاغية تتناول القرآن الكريم وتفاسيره.

وقد اخترت أنا من بين هذه التفاسير(تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير وذلك لأن هذا التفسير قد ذاع على كل لسان واشتهر في كل مكان وعرفه العامي والمتخصص وذلك لوضوح منهجه وجمال عرضه، ولأنه كان في مكتبتي منذ أيام الطلب، فكنت أطالع فيه إذا أردت إعداد خطبة الجمعة، فكان يجمع الآيات والأحاديث حول الموضوع الواحد فكنت آخذ منه بغيتي على عجل.

ولكنى عندما نظرت فيه نظرة المتأني وجلست إليه بالساعات الطوال وجدت هذا التفسير مترعاً بالمسائل اللغوية.

وقد عشت مع هذا التفسير أكثر من عام ونصف أقرأ فيه بأجزائه الأربعة التي يصل كل جزء منها إلى ما يقرب من ستمائة صفحة من القطع الكبير، فعثرت على كثير من القضايا اللغوية وقد لفت نظري إحدى هذه القضايا، وهي قضية (تعليل التسمية) في التفسير، فجمعتها من التفسير من أوله إلى آخره، لأن هذه القضية من قضايا فقه اللغة المهمة التي تدل على إحكام اللغة العربية وعدم جزافيتها؛ ولأن ابن كثير جمع في تفسيره الكثير من أقوال الصحابة والتابعين.

وكان مما جعلني أبحث في هذا التفسير أنه لم يشتهر عند الباحثين كتفسير يهتم بقضايا اللغة وأخذت الفكرة تراودني فأقدم عليها مرة وأحجم أخرى وأحدث نفسي- ماذا يكون لابن كثير في هذا الجانب اللغوي؟ وهل إشاراته وان تعددت إلا مجرد ترداد لإشارات السابقين؟ وأعود متسائلا ماذا يضير الكشف عن هذه القضايا اللغوية؟ أليس ذكره لهذه القضايا اللغوية واهتمامه بها دليلاً على تذوقه لها وتأثره بها واشتفافه لمضمونها فلا حرج إذا في الكشف عن هذا الجانب، فاعتمدت على الله وصبرت على مطالعته وجمعت كل إشاراته حول تعليل التسمية فهي أقوال تائهة في هذا البحر الخضم تحتاج إلى يقظة حتى لا يفلت منها شيء.

هذه أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع وهو لفت أنظار الباحثين في اللغة إلى هذا السفر العظيم لتناوله بالدراسة على كل المستويات اللغوية.

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرسين للمراجع والموضوعات.

فالمقدمة: كشفت فيها عن موضوع البحث وأسباب اختياري له والمنهج الذي اتبعته فيه والخطة التي سرت عليها قي كتابته.

أما التمهيد: فألقيت الضوء فيه على ترجمة موجزة عن ابن كثير ومولده ونشأته وحياته العلمية وشيوخه وتلاميذه وكتبه ووفاته ومنهجه في التفسير، ثم ذكرت نماذج من القضايا اللغوية في تفسيره / صوتية، ودلالية، ونحوية.

ثم يأتي المبحث الأول بعنوان: (تعليل التسمية) وقد تناولت فيه المراد بتعليل التسمية، وقَدِم هذه الظاهرة، وطريقة العرب في توليد الألفاظ وتعليل التسمية في الجاهلية والإسلام وأن تعليل التسمية يحل بعض مشاكل اللغة مثل التضاد والترادف، ثم ذكرت ملاحظ التسمية إجمالا وتفضيلاً عند العلماء المحدثين.

أما المبحث الثاني فبعنوان: (تعليل التسمية في تفسير ابن كثير جمعاً ودراسة) فعرضت فيه للألفاظ التي وردت في التفسير ورتبتها على العلل المذكورة في المبحث الأول بحسب الكثرة والقلة، فالعلة التي وردت عليها ألفاظ كثيرة جعلتها في أول المبحث وهكذا، وكنت أذكر الآية التي وردت فيها الكلمة، ثم قول ابن كثير في تفسيره عن علة التسمية، ثم عرضت هذه الألفاظ على بعض معاجم اللغة العربية لبيان اتفاقها مع ما قاله ابن كثير أو اختلافها عنه، وقد درستها وحللتها في ضوء المنهج الوصفي التحليلي.

ثم تأتي الخاتمة وفهارس البحث.

وبعد... فهذا بحث قد بذلت فيه جهداً، ولم أدخر فيه وسعاً، وقد عكفت على التفسير قرابة عام ونصف، فإن كنت قد أصبت فالخير قصدت، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني أخلصت وبذلت الجهد، وللمجتهد أجر، أسأل الله تعالى حسن المثوبة، والصدق في النية فهو حسبي ونعم الوكيل. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

دكتور
ربيع شعبان السيد على

تعليل التسمية في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

التمهيد

ترجمه موجزة عن ابن كثير[1]

نسبه:

هو عماد الدين ابن كثير الدمشقي الفقيه الشافعي، وجاء في تفسيره: قال الشيخ الإمام الأوحد، البارع المتقي عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي (رحمه الله) تعالى ورضي عنه.[2]

مولده ونشأته:

ولد ابن كثير سنة سبعمائة من الهجرة، وقيل إنه ولد سنة واحد وسبعمائة، وقد ولد في قرية من أعمال مدينة بصرى، ثم انتقل إلى دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه، وقد مات أبوه وهو في الرابعة من عمره فرباه أخوه من بعده.

حياته العلمية:

نشأ ابن كثير محباً للعلم فتفقه على يد الشيخ برهان الدين الفراري وغيره، وسمع من القاسم بن عساكر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل حتى

---

(١) روجع في هذه الترجمة الكتب التالية:

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح بن العماد الحنبلي ٦/ ٢٣١ مكتبة القدس.

٢- البدر الطالع من بعد القرن السابع لمحمد بن على الشوكاني ١/ ١٣٥ ط١ ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة.

٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري جمال الدين أبو المحاسن ٢/ ٤١٤، ٤١٥ د/ محمد محمد أمين، د/ سعيد عاشور الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢.

قال فيه ابن حبيب: (إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والتفسير، وقد تزوج من بنت شيخه الإمام المزى، وكانت امرأة صالحة.

شيوخه:

أخذ عن عيسى المطعم والقاسم بن عساكر وابن الشيرازي واسحاق الآمدي، كما أخذ عن الإمام ابن تيمية (رحمه الله)، وكان ملازماً له ومحبا له حباً جما.

تلاميذه:

جاء في شذرات الذهب أن تلامذته كثيرون وذكر منهم ابن حجي وكان عالماً.

كتبه:

له كتب متعددة منها: (البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم الذي قامت حوله هذه الدراسة، كتاب في جمع المسانيد العشرة، واختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه وله التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، وله كتاب على البخارى ولم يكمله.

وفاته:

توفي (رحمه الله) في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفن مع شيخه ابن تيمية بوصية منه.

منهج ابن كثير في التفسير:

١ - **تفسير القرآن بالقرآن**: جاء على لسانه قوله: (فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر.[1]

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣.

٢- **تفسير القرآن بالحديث**: يقول ابن كثير: (فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الشافعي: كل ما حكم به رسول الله (ﷺ) فهو مما فهمه من القرآن.... ولهذا قال رسول الله (ﷺ): (ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه) يعني السنة، والسنة أيضاً تتنزل عليهم بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.[١]

٣- **تفسير القرآن بأقوال الصحابة**: يقول ابن كثير: وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولم لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وابن مسعود وابن عباس وغيرهم.[٢].

٤- **تفسير القرآن بأقوال التابعين**: يقول ابن كثير: (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير[٣] والناظر في تفسير بن كثير يظهر له أنه قد نقل عن السدي وعكرمة، وسعيد بن جبير وينقل عن قتاده وطاووس وينقل عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكان يختار أحد الآراء ويميل إليه.

(١) السابق نفسه.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣، ٤.

(٣) السابق ١/ ٤.

٥- تنقية تفسيره من الإسرائيليات التي تسربت إلى بعض التفاسير:

فقد كان موقفه تجاه هذه الظاهرة موقفاً واضحاً إذ يقول: ولكن هذه الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام (أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح، (والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، (والثالث) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني...)[١]

وقد أثنى على تفسير ابن كثير الكثير من العلماء منهم الشيخ / محمد رشيد رضا في تفسيره المنار وخاصة في المنهج حيث قال: (إن تفسير ابن كثير أشهر كتب التفاسير في العناية بما روى عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها وتسامي ما أطال به كثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة، أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يحتاج إليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه، ولا الاتعاظ به، ومن مزايا العناية بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، فهو أكثر ما عرفناه من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى، ويلي ذلك الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يحتج به منها ويليها آثار الصحابه وأقوال التابعين ومن بعدهم علماء السلف)[٢].

وقد تحدث عنه آخر واصفاً إياه في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري فهو يفسر كلام الله بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها، ويمتاز ابن كثير بأنه ينبه في كثير

(١) السابق ١/ ٤.

(٢) أنظر تفسير المنار.

من الأحيان إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية، ويناقش مذهبهم وأدلتهم أحياناً[1]

إذاً فقد وضع ابن كثير لنفسه أسساً التزمها وسار عليها بأمانة كاملة، فجاء تفسيره وفق ما وصفه من منهج، وهذا واضح من خلال القراءة في هذا التفسير.

الاهتمام بالقضايا اللغوية في تفسير ابن كثير :

اهتم ابن كثير بالأمور اللغوية فقد وردت فيه إشارات نحوية كثيرة، كما وردت فيه الكثير من توجيه للقراءات القرآنية، والقضايا الدلالية، وقد كان لابن كثير رأي في مثل هذه القضايا، كما جاء في التفسير بعض الإشارات الصوتية والبلاغية وغيرها، فالتفسير مترعٌ بمثل هذه القضايا.

نماذج من القضايا اللغوية في تفسير ابن كثير:

من القضايا الصوتية في الكتاب:

جاء في تفسير ابن كثير: (والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير مابين الضاد والظاء بقرب مخرجيهما، وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس.

ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك، والله أعلم. وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم).[2]

---

(١) مباحث في علوم القرآن د/ منيع القطان ص ٦٦، ٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠.

وما جاء في تفسير ابن كثير قد أثبته أ.د/ محمد حسن جبل عند حديثه عن الضاد والظاء حيث قال: (ولقرب صدى الضاد الفصحى من صدى الظاء تسامح الناس من قديم في نطق إحداهما بدل الأخرى، وقد أشرنا من قبل إلى ما سببه هذا التقارب من التباس بينهما حتى خصص العلماء جهودا للتمييز بينهما.[1]

من القضايا الدلالية في تفسير ابن كثير:

لابن كثير إشارات دلالية كثيرة في تفسيره من ذلك قوله:

والعالم مشتق من العلامة (قلت) (يعني ابن كثير) لأنه علم دال على وجود خالقة وصانعه ووحدانيته كما قال بن المعتز:

فيا عجبا كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[2]

وعند الحديث عن اشتقاق كلمة الصلاة ذكر أقوال كثير من العلماء ثم ذكر رأيه في ذلك قال: (قال ابن جرير أن الصلاة سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله.... وقيل هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود.... وقيل هي مشتقة من الصلى وهو الملازمة للشيء..... وقيل مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوَّم..... واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر).[3]

كما أن ابن كثير قد أدلى بدلوه في قضية الفروق اللغوية بين الألفاظ، فنجده قد فرق بين كلمتي الحمد والشكر بقوله: (ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين،

---

(١) ينظر أصوت اللغة العربية د/ محمد حسن جبل ص ٢٠٦ ط٣ سنة ١٩٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٤.

(٣) السابق ١/ ٤٣.

والتحقيق أن بينهما عموماً وخصوصاً فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية. وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته على كرمه وإحسانه).[1]

كما أن ابن كثير اهتم بالقراءات القرآنية، وذكر أقوال العلماء حول ما تعرض له من هذه القراءات من ذلك قوله في قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[2] قراءة الجمهور بالصاد وقرئ السراط وقرئ بالزاي، قال الفراء وهي لغة بني عذرة وبني كلب.[3]

كما أن ابن كثير له لمحات نحوية كثيرة جداً في تفسيره منها قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النحاه، ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم[4]

هذه بعض اللمحات التي ذكرها ابن كثير في تفسيره عن بعض القضايا اللغوية وهذا واضح من خلال النظر في تفسير سورة الفاتحة وحدها فإذا أردنا المزيد من هذه القضايا

(١) السابق ١/ ٢٢.

(٢) الفاتحة آية (٦).

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨.

علينا أن ننظر في باقي التفسير، وهذا لأثبت أن هذا السفر العظيم مترع بالقضايا اللغوية التى تستحق دراسة مستقلة في أطروحة للدكتوراه، لأن هذا التفسير لم يتناوله أحد من الباحثين بالدراسة في المجال اللغوي، غير أن أحد الزملاء[1] كتب حول القضايا البلاغية في تفسير ابن كثير فكتب حوله أكثر من بحث، وهذا دليل على أن هذا التفسير به الكثير من هذه القضايا التي تستحق الدراسة، لذلك اخترت قضية من قضايا فقه اللغة لأكتب حولها لأني وجدت أن ابن كثير له لمحات كثيرة فيها وهي قضية (تعليل التسمية) وسوف أتناول الحديث عن هذه القضية في الصفحات التالية من هذا البحث.

(١) هو الزميل والصديق د/ محمد البهلول أستاذ مساعد في قسم البلاغة والنقد.

المبحث الأول
تعليل التسمية

المراد بتعليل التسمية: هو بيان العلة أو الملحظ التي من أجلها وضع اللفظ للمسمى.

وتعليل التسمية له علاقة بالاشتقاق الصغير، وذلك لأن التسمية تحكي لنا وجه استعمال من الجذر اللغوي، أطلق على مسمى بعينه وإذا استطعنا أن نرد هذا الاستعمال الذي سمي به إلى استعمال آخر لنفس الجذر - بذلك – نعلل لتسمية شيء ما بهذا الاستعمال بعينه.

فعندما يقولون في تعليل تسمية الكعبة (لنتؤها وارتفاعها) فإن هذا يعني أن هذا البناء الذي يحج إليه الناس قد أطلق عليه استعمال من استعمالات الجذر "كعب" وهو قولهم "كعبه" فإذا رددنا هذا الاستعمال إلى معنى استعمال آخر وهو "كعب" علا ونتأ فإننا بذلك نسلك في التعليل هذا المستوى من مستويات الاشتقاق الصغير.(١)

قدم هذه الظاهرة: وهذه القضية قديمة حيث أنها ثابتة وقائمة في الموروث اللغوي القديم ويمكن الاستئناس بقول ابن الأعرابي استدلالاً على قدم هذه القضية حيث قال: (الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها، من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله " قال أبو بكر يذهب ابن الأعرابي إلى أن مكة سميت مكة لجذب الناس، والبصرة سميت البصرة للحجارة البيض الرخوة بها والكوفة سميت بالكوفة لازدحام الناس بها من قولهم تكوّف الرمل تكوفا:

(١) ينظر: تعليل التسمية في المصباح المنير د / نور حامد الشاذلي ص ١٣،١٤ ط ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

إذا ركب بعضه بعضا والإنسان سمي إنسان لنسيانه، والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز، من قولهم: أمر مبهم إذا كان لا يعرف بابه [ويقال للشجاع بهمة لأن مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه].

فإن قال قائل: لأي علة سمي الرجل رجلاً، والمرأة امرأة، والموصل الموصل، ودعد دعداً؟ قلنا: لعلل علمتها العرب، وجهلناها أو بعضها فلم تزل عن العرب حكمة العلم بها لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا).[1]

من ثم ينتفي بهذه المقولة السابقة المقولة المشهورة (الأسماء لا تعلل) لأن اعتقاد هذه المقولة يصادم بل يخالف حقيقة في العربية، وينفي كذلك الحدود بين المعاني.[2]

وقد استخرج أحد المحدثين بعض الملاحظات من مقولة ابن الأعرابي السابقة حيث قال: كون الأسماء لعلة أمر يتعلق في الواقع لعملية وضع اللغة العربية وسر وجودها ذلك أن اختيار جذر بعينه ليدل على شيء بعينه اختيار لا شك يحتاج إلى وقفة نبين فيها سر هذا الاختيار وظروفه وملابساته

حتى نبتعد عن القول بأن العشوائية والجزافية كانت أساساً بنيت عليه هذه اللغة المحكمة – لا يركب هذا المركب – أعني إيجاد العلل المناسبة للمسميات – إلا كل من

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/ ٤٠٠ طبعة دار الجيل بيروت – لبنان، وينظر: كتاب الأضداد لابن الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٧، ٨ المكتبة العصرية صيدا بيروت.

(٢) ينظر: في فقه اللغة العربية د/ حسن الباجورى، د/ صبري القلش ص٣٨ ط أولى ١٤٢٤، ٢٠٠٤.

أوتي الحظ الأوفر من سلامة القريحة وعمق الفكرة وتوقد الذهن، حتى يصل إلى العلة الحقيقية التي تستتر وراء تسمية بعينها.

إن الأمر يحتاج إلى الإلمام التام بأصحاب اللغة وطرائق معيشتهم وتكييفهم للأشياء، وكيفية تعاملهم معها، وقبل هذا وبعده معرفة لا تتخلف بتعبيرات اللغة المتنوعة.

وحتى مع توفر هذه الأدوات، قد تغمض العلة وتدق وتغرب عن الفهم وعندئذ فلا يجب أن نرمي اللغة بالجزافية، وأنه لا علة في هذا الاسم فقد حسم ابن الأعرابي الأمر بقوله: فإن قال قائل: لم سمي الرجل رجلاً؟ قلنا: لعلة علمتها العرب وجهلناها نحن، فلم تزل عن العرب حكمه العلم بها لحقنا من غموض العلة.(١)

ويقول عن هذه المقولة أيضاً أستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل في بحث له بعنوان (تعليل التسمية) هذه المقولة عن ابن الأعرابي تقرر في هذا العصر المبكر من النصف الثاني من القرن الثاني، والنصف الأول من القرن الثالث (أن هناك من الأسماء ما يجهل تعليله وأن جهل العلة يرجع إلى غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا، وهذا كلام بالغ النفاسة لصدقه).(٢)

طريقة العرب في توليد الألفاظ:

تسمية الأشياء ووضع الألفاظ للدلالة على مدلولاتها عمل مستمر في جميع اللغات الحية.... وتكون تسمية الأشياء ووضع الألفاظ الجديدة بعد أن تكون اللغة قد اجتازت مرحلة نشوئها الأولى وغدا بين يديها رصيد من المفردات بانتزاع صفة من صفات الشيء

(١) ينظر: تعليل التسمية في المصباح المنير د/ نور حامد الشاذلي ص١٥، ١٦.

(٢) ينظر: تعليل التسمية مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة عدد (١٠) ص٤١.

الذي يراد تسميته أو اختيار جزء من أجزائه أو ناحية من نواحيه أو تحديد وظيفته الأصلية وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة أو الناحية أو العمل، فالعرب قديماً سموا السماء بصفة السمو والعلو، والسهل من الأرض لسهولة السير فيه، والبادية لصفة الظهور والوضوح، والمسكن لشعور المرء فيه بالسكينة.... وكذلك جرت التسمية بعد الإسلام وأحدثت ألفاظ لمعان جديدة على هذه السنة نفسها، فسميت الزكاة بلفظ يدل على النماء أو الطهارة..... ولا تزال منذ ذلك العصر- حتى يومنا هذا نضع الألفاظ للمعاني الجديدة على هذه الطريقة في أكثر الأحوال كالمكتب والمطبعة والجامعة والقطار والدراجة من الألفاظ المستحدثة في هذا العصر.[1]

تعليل التسمية في الجاهلية:

كما سبق أن قلت أن ظاهرة تعليل التسمية قديمة فقد وردت حولها الإشارات منذ عصر الجاهلية، فقد روى الأصمعي علة تسمية طابخة ومدركة بقولة يقال: (إن ابني إلياس بن مدر: مدركة وطابخة، طلبا إبلا لهما ذهبت قال: فقعد طابخه يصنع طعاماً ومضى مدركة فأدرك الإبل، فسمي بذلك، وسمى طابخة لطبخه الطعام).[2]

وكذلك ورد قول الأصمعي في تعليل تسمية بجاد: (سمي بالبجاد من الوبر، والبجاد: ثوب ينسج من صوف أو من أوبار الإبل: والجمع: بُجُدُ)[3]

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية / محمد المبارك ص١٩١، ١٩٢باختصار ط دار الفكر بيروت ط ٥ ١٣٩٢/ ١٩٧٢.

(٢) ينظر: كتاب اشتقاق الأسماء للأصمعي تحقيق / مسعد عبد الحميد السعدني ص٣٩ ط دار الطلائع ١٩٩٤.

(٣) السابق ص٤٢

كما أورد العلامة ابن جني تعليلاً لتسمية قريش بهذا الاسم بقوله: (فأما قريش المنسوب إليه القبيلة فيقال: إنه سمي بذلك من قولك تقرش القوم إذا اجتمعوا، وذلك لتجمع قريش، ويقال إن قريشاً دابة من دواب البحر، ويقال: تقرش الرجل: إذا تنزه عن مدانس الأمور قال: ولذا سميت قريش قريشا[1]

وقد أورد ابن دريد في كتابه الاشتقاق مذاهب العرب في تسميتهم الأسماء بقوله:

- فمنها ما سموه تفاؤلا على أعدائهم، نحو غالب وغلاب ومقاتل وثابت.
- ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل وناج وسالم وسليم.
- ومنها ما سمي بالسباع ترهيباً لأعدائهم نحو أسد وليث وسيد وضرغام.
- ومنها ما سمي بما غلظ وخشن من الشجر تفاؤلاً أيضا نحو: طلحة وسمرة.
- ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن ملمسه وموطئه مثل حجر وصخر وفهر.
- ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك ثعلب، ثعلبة، كلب، كليب..[2]

هذا أهم ما كان يفعله العرب نحو تسمية أبنائهم وما يترتب عليه من معنى يقصده العربي عند التسمية، والمعنى المقصود هنا هو ما يطلق عليه بتعليل التسمية.

---

(١) المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جنى ص ٧٠ ط دار الكتاب العربي بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: الاشتقاق لابن دريد ص ٤ باختصار تحقيق/ عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ط١ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

تعليل التسمية في الإسلام:

أما عن تعليل التسمية في العصر الإسلامي فقد اختلف اختلافاً قليلاً عنه في العصر الجاهلي، وذلك إيماناً بأدب الإسلام وأخذا به فقد حض النبي (ﷺ) على حسن اختيار الأسماء للأولاد كما في قوله (ﷺ): (سموا أولادكم أسماء الأنبياء وأحسن الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحارث، وهمام، وأقبحها حرب ومرة)[1]

وقد كان (عليه السلام) يغير الأسماء التي تدل على فسق ومعصية كالغراب ونحوه وما يدل على معاني الحرب وعقائد الجاهلية كعبد اللات وعبد العزى، ومما يدل على ذلك أنه (ﷺ) التمس منه أن يسمي ولداً، فسأل الملتمس ما تريده؟ فقال: راعياً فقال (ﷺ): هو عاصم، هو عاصم، هو عاصم، وقبض أصابعه مشيراً إلى أن معنى تحقق الحرص والحفظ فيه)[2]

تعليل التسمية يحل بعض مشكلات اللغة العربية:

إذا تم دراسة هذا الموضوع دراسة علمية من جميع جوانبه فإنه يحل الكثير من مشكلات اللغة العربية الخاصة بالجانب الدلالي مثل مشكلة التضاد والاشتراك والترادف التي عدها الشعوبيون من مثالب لغتنا العربية والتي رموها بالجزافية وعدم الإحكام ليشككوا في لغة القرآن الكريم، وبعدها يطعنوا على كلام رب العالمين الذي نزل به الروح الأمين.

---

(١) ينظر حولية كلية اللغة العربية بالمنصورة مقال د/ جبل عن تعليل التسمية العدد (١٠) ص ١١،١٢.

(٢) السابق ١٢، ١٣.

الاشتراك (تعدد المعنى) – الأضداد:

لقد فسر أحد المحدثين عن طريق تعليل التسمية كيف وقع المشترك والمتضاد في اللغة العربية إذ يقول: (إن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معانٍ جديدة ذات معان عامة، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام، فكلمة (دليل) يقصد بها من يدل على الطريق، أو من يطوف على السائحين في عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة، ويراد بها الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معالمه وآثاره، ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان، لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها، وإن كانت هي في ذاتها مختلفة، وكذلك كلمة (جارية) وكلمة (السهم).... وقد يقع أن تطلق الكلمة الواحدة على معنيين متضادين لوجود صفة مشتركة بينهما ومثال ذلك لفظ "الحرمة" فهي مشتقة من مادة حرم التي تفيد المنع وتوصف بها الأشياء التي لا ينبغي الاقتراب منها بل يمنع لقبحها وخبثها كحرمة الزنا والخمر، كما توصف بها الأشياء التي لا تقرب لكرامتها وقدسيتها فتقول إن للدين حرمته وللكتاب المقدس حرمته.[1])

وبعد أن أورد الباحث هذه الأمثلة كلها ليدل على أن تعليل التسمية يفسر هذه الظاهرة اللغوية، وهي مشكلة التعدد يقول: (وسبب وجودها أي ظاهرة المشترك والمتضاد هو ما ذكرناه من طريقة تسمية الأشياء ووضع الألفاظ.[2])

---

(١) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية تأليف / محمد المبارك ص١٩٨، ١٩٩.

(٢) السابق ص ١٩٩.

ومما يؤيد الكلام السابق ويعضده بأن تعليل التسمية يفسر ظاهرة الاشتراك في المعنى والأضداد ما جاء في المزهر: (وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر).(١)

من خلال ما ذكره الإمام السيوطي نرى أن الحي الأول من العرب لاحظ في الكلمة ملحظاً لم يلحظه الحي الآخر لذلك وقع على الكلمة معنيان.

الترادف:

لقد جعل أحد المحدثين الترادف من القضايا الدلالية التي يعرف نشأته عن طريق تعليل التسمية وأنه يعد من أبرز أسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات فقال: (ولو نظرنا إلى وضع الألفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر لوجدنا أن للشيء المسمى وجوها وصفات كثيرة يمكن أن يسمى بأكثر من صفة من صفاته وأن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات ومن هنا ينشأ الترادف وهو تعدد اللفظ للمعنى الواحد وهو عكس الاشتراك، وهذا هو أبرز أسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات، فمن ذلك تسمية الدار داراً ومنزلاً ومسكناً وبيتاً، باعتبار كونها مستديرة في الأصل، أو كونها مكان النزول بالنسبة لأهل البادية أو المسافر أو كونها موضعاً للسكينة والاطمئنان

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطى تحقيق / محمد أحمد جاد المولى وآخرين ١/ ٤٠١ ط دار الجيل بيروت - لبنان.

أو كونها مكاناً للبيتوتة، وكل لفظ من هذه الألفاظ يدل على المقصود نفسه بأحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم ويلاحظها أولا يقصدها ولا يلاحظها وهو الغالب في استعمال الناس وأهل الأدب والبلاغة وحدهم قد يراعون في استعمالهم أحد هذه الألفاظ معناها الأصلى).[1]

ولكن ليس كل ما يتحقق فيه العلة يمكن تسميته بالاسم الأول، فقانون التسمية يطرد ولا ينعكس كما ذكر الدكتور / جبل، وقد اتضح ذلك حين قال: (ليس كل ما ينسحب في الهواء كالغبار الكثيف مثلاً يسمى سحاباً ،وليس كل ما ابيض كالدقيق يسمى قمراً، وليس كل ما خرّف من ها هنا ومن ها هنا كالظبي الصغير يسمى خروفاً، وليس كل يوم اجتمع الناس فيه لاحتفال أو غيره يسمى جمعة، وليس كل ما ارتفع على وجه الماء كخشبة ونحوها يسمى سمكاً، وهكذا فإن وجود العلة يطرد في اتجاه واحد ولا ينعكس وإلا فلو كان قانون التسمية ينعكس لزالت الحدود بين المعاني).[2]

وقد سمى الأستاذ / محمد المبارك إطلاق الاسم على المسمى دون غيره مع اشتراكه معه في تلك الصفة بالتجريد أي أننا قد جردنا هذا الاسم من كل الصفات الأخرى وأعطيناه صفة واحده والتي من أجلها أطلق هذا الاسم على مسماه فيقول: (إن كل لفظ من ألفاظ اللغة عدا الأعلام تدخل تحته أفراد كثيرة يسمى كل واحد منها بذلك اللفظ ويبقى اللفظ مشاعاً بينها قابلاً للانطباق على كل واحد منها دون تخصيص، فكلمة شجرة مثلاً تنطبق على كل شجرة أياً كان نوعها وأنى كانت بمعنى أننا جردنا من أفراد الشجرة

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية / محمد المبارك ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) ينظر: حولية كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد(١٠) ص٣٤.

الكثيرة المتنوعة في أشكالها وألوانها وأطوالها وصفاتها صورة مشتركة بينها، وأطلقنا على هذه الصورة المتخيلة المجردة كلمة شجرة، وكذلك كلمة فرس وباب ودار فكل منها تشمل أفراداً كثيرة وأنواعاً مختلفة وأشكالاً متباينة وكل كلمة منها تمثل معنى مجرداً من تلك الأفراد والجزئيات).[1]

ملاحظ التسمية:

لقد ذكر بعض العلماء المحدثين ما يمكن أن يسمى ملاحظ التسمية، أو العلل التي يمكن أن ترتد إليها غالبية المسميات في اللغة العربية، وقد ذكرها أحدهم إجمالا وآخر تفصيلاً.

فقد ذكرها الأستاذ / محمد المبارك إجمالاً بقوله: (وتكون تسمية الأشياء ووضع الألفاظ الجديدة بعد أن تكون اللغة قد اجتازت مرحلة نشوئها الأولى وغدا بين يديها رصيد من المفردات بانتزاع صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو اختيار جزء من أجزائه أو ناحية نواحيه أو تحديد وظيفته الأصلية، وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة أو الناحية أو العمل.

فالعرب قديماً سموا السماء بصفة السمو والعلو، والسهل من الأرض لسهولة السير فيه، والبادية لصفة الظهور والوضوح، والمسكن لشعور المرء فيه بالسكينة، والسفر لكشفه عن صفة الإنسان، أو لاكتشاف أفاق الكون أمام المسافر، وكذلك جرت التسمية بعد الإسلام وأحدثت ألفاظ لمعان جديدة على هذه السنة نفسها، فسميت الزكاة بلفظ يدل على النماء أو الطهارة، والتقوى من الوقاية بالعمل الصالح، والجهاد باللفظ يدل

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٠٢.

الطاقة والمشقة والتعب، ولا نزال منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا نضع الألفاظ للمعاني الجديدة على هذه الطريقة في أكثر الأحوال كالمكتب والمطبعة والعاطفة والجامعة والقطار والدراجة والفنان، وأمثالها من الألفاظ المستحدثة في هذا العصر).[1]

يلاحظ مما سبق أنه قد حصر ملاحظة التسمية في الأمور الآتية:

١ - أن الشيء قد يسمى بانتزاع صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته.

٢ - اختيار جزء من أجزائه أو ناحية من نواحيه.

٣- تحديد وظيفة الشيء الأصلية، وتسميته بلفظ مشتق من اللفظ الدال على تلك الوظيفة أو العمل.

أما تفصيلاً فقد جمع أستاذنا الدكتور جبل الملاحظ أو العلل التي يبني عليها إطلاق الأسماء على المسميات أكثر من ست ملاحظ **وهى على النحو الآتي**:

١ - قد يسمى الشيء باسم مادته، أي المادة الطبيعية التي صنع منها أو تكوَّن منها جرمه، كتسمية الجفان الشيزي، وأصله خشب أسود تصنع منه فسميت باسمه.

٢ - قد يسمى الشيء بوصف فيه، وهذا الوصف قد يكون خاصاً بالشيء بمعنى أنه فيه أساسي، ويتحقق بالصورة المثلي كتسمية الإبل باسمها هذا لاحتفاظها بالماء في أبدانها أي اجتزائها عنه حتى لا تعطش. وقد يكون الوصف الذي لحظ في التسمية غير خاص بالمسمى، ولكنه فيه أكمل لما يراد به كالدار تراد للتحيز والإقامة، ولا يتم ذلك إلا بحياطتها للمقيم ودورانها حوله، وبهذا سميت دارا، والورق يراد للكتابة عليه، وهي لا تتطلب إلا سطحاً عريضاً ولزمت الرقة للعرض، فسمي ورقاً لرقته.

(١) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية / محمد المبارك ص ١٩١، ١٩٢.

٣- قد يسمى الشيء بوظيفة أي عمله أو بخواصه وصفاته في عمله، ومن هذا تسمية القلم كذلك لقلمه أي كشطه ظاهر السطوح الطينية والحجرية التي يكتب به عليها حفراً ونقشاً وكتسمية السكين بذلك لتسكينه المذبوح.

٤- قد يسمى الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه ومن ذلك أسماء القرابة.... فالأب يغذو... والأم هي الأصل والمبدأ الذي ولد... ومن تلك العلاقات النسب كالهندي.... وأجزاء الأشياء: النصف والثلث والربع.

٥- قد يسمى الشيء بملابسه زماناً كالغذاء والصبوح والقيول والعشاء والسحور ،

٦- هناك ملاحظ أخرى للتسمية أقل أساساً ولكنها كثيرة ومنتشرة وهي:

أ- تسمية الشيء باسم جزئه كتسمية العبد رقبة.

ب- تسمية الشيء بمجاوره، أو ما هو منه بسبب، كتسمية وعاء طعام المسافر سفرة، والأصل أن السفرة هي الطعام نفسه وكتسمية المطر سماء.

ج-تسمية الشيء بما يئول إليه كتسمية العنب خمراً.

د- تسمية الشيء بما يشبهه، كتسمية كل طرف دقيق إبرة كإبرة الزراع وإبرة النحلة.

هـ- تسمية الشيء بالمصدر، مقصودا به معنى اسم الفاعل أو المفعول كالزرع والنبت والكتابة بمعنى المزروع والنابت والمكتوب.

و- تسمية الشيء بصفة تحولت اسماً، كالأسود للحية، والصديق لأبي بكر.[١]

(١) ينظر: حوليه كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد العاشر مقال بعنوان تعليل التسمية أ.د/ محمد حسن جبل ص٢٤ وما بعدها.

هذه هي أهم العلل التي ذكرت لتعليل التسمية وبعد ذكرها سوف نصنف على إثرها الألفاظ التي استخرجتها وعثرت عليها من خلال تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير في هذا القسم من البحث.

وسوف أقوم بترتيب هذه العلل على حسب الكثرة والقلة من حيث عدد الألفاظ ،فأبدأ بالعلة التي وردت تحتها ألفاظ كثيرة،وهكذا حتى نرى أي علة روعيت بكثرة عند التسمية ثم التي تليها.

المبحث الثاني
تعليل التسمية في تفسير ابن كثير
جمعاً ودراسة

العلة الأولى
تسمية الشيء بوصف فيه

وقد وردت هذه العلة في ست وأربعين كلمة، وهي أكثر أنواع العلل وقوعاً في تفسير ابن كثير، وينقسم الوصف إلى قسمين:

النوع الأول: ما كان الوصف فيه أساسياً، وقد وقع في سبع وعشرين كلمة في تفسير ابن كثير هي:

١- الآزفة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾[١] يقول: (يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[٢] وقد أكدت المعاجم على هذا المعنى الذي ذكره ابن كثير، فجاء في التهذيب (قال الليث وغيره: كل شيء اقترب وقد أزف أزفاً، وقال الله تعالى: (أزفت الآزفة أي دنت القيامة)[٣] وجاء في المقاييس: (الهمزة والزاء والفاء يدل على الدنو والمقاربة يقال أزف الرحيل إذا اقترب ودنا، قال تعالى:

---

(١) سورة غافر آية ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٥.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (أزف).

(أزفت الآزفة: يعني القيامة)[1] وجاء في أساس البلاغة (والآزفة القيامة لأزوفها.... ومن المجاز ورجل متآزف: قصير لتقارب خلقه.[2]

يلاحظ أن أصحاب المعاجم السابقة قد نصت على التقارب والدنو كوصف أساسي من صفات هذا اليوم وهذا متفق مع أحاديث كثيرة تدل على قرب هذا اليوم، فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي فيه.

٢- المؤمنين:

عند قوله تعلى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[3] يقول: وسميت أمة محمد (ﷺ) مؤمنين بكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية)[4]

والذي ورد في معاجم اللغة أن الإيمان هو: (التصديق) والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها.[5] فكأن هذا التفسير خاص بابن كثير، وهو الذي أورد هذه العلة ولم ترد عند غيره من أصحاب المعاجم وهذه صفة خاصة بالموصوف لا تتعداه إلى غيره، فهذا الوصف أساسي في الموصوف.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (أزف).

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى (أزف).

(٣) سورة البقرة آية ٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٠٤.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (أمن).

٣- البدعة:

عند قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] يقول: (ومعنى المبدع المنشئ والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد، قال ولذلك سمى المبتدع في الدين مبتدعاً لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره، وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم، فإن العرب تسميه مبتدعاً).[٢]

ويقول أيضا: بديع أي مبدعها وخالقها (السموات والأرض) ومنشئهما ومحدثهما عل غير مثال سبق ومنه سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سبق.[٣]

وقد أكدت المعاجم على ما جاء في تفسير ابن كثير، فجاء في المقاييس: (الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال... ومن بعض ذلك اشتقت البدعة[٤]... (لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام).[٥]

فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي فيه، فالبدعة الأصل فيها أن تكون على غير مثال سبق، ولا نظير لها فيما سبق.

---

(١) سورة البقرة آية ١١٧ وسورة الأنعام آية ١٠١

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦١.

(٣) السابق ٢/ ١٦٠

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (بدع).

(٥) مجمل اللغة لابن فارس (بدع).

٤- الأبرار:

عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾[٢] يقول: (قال رسول الله (ﷺ) إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذا لولدك عليك حق)[٣]

والذي ورد في معاجم اللغة هذا القول لكنه منسوب إلى ابن عمر يقول صاحب التهذيب: (عن ابن عمر: إنما سماهم الله أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء، وقال: كما أن لك على ولدك حقاً كذلك لولدك عليك حق)[٤]

فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي في المسمى.

٥- بكة:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] يقول: (من أسماء مكة على المشهور قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى أنهم يزلون بها، ويخضعون عندها، وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون).[٦]

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٩٨.

(٢) سورة الانفطار آية ١٣

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٤٤٢، ٤/ ٤٨٢.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (بر).

(٥) سورة آل عمران آية ٩٦.

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٣.

وبالنظر في مقاييس اللغة نجد أنه قد أرجع هذه المادة إلى أصل واحد (يجمع التزاحم والمغالبة، قال الخليل: البك دق العنق، ويقال: سميت بكة لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم ينظروا، وقيل بل سميت بكه لأن الناس بعضهم يبك بعضاً في الطواف أي يدفع، وقال الحسن: أي يتباكون فيها من كل وجه.[١]

وقال الزمخشري: (وسميت بكة لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم يناظروا، أي لم ينتظر بهم).[٢]

فسميت بكة بهذا الاسم لوصف أساسي فيها ذكره ابن كثير وأكدت عليه المعاجم العربية.

٦- الترك:

عند الحديث عن يأجوج ومأجوج في سورة الكهف يقول: وقال إنما سمي هؤلاء تركاً لأنهم تركو من وراء السد من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة.[٣]

ولم ترد هذه العلة في كتب المعاجم والذي ورد أن "الترك: جيل من الناس والجمع أتراك"[٤] والمادة تدل على (التخلية)[٥].

وكأن هذه العلة خاصة بابن كثير، ولم تذكر عند غيره، فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي فيه.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (بك).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (بك).

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٣، ١٠٤.

(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي (ترك)

(٥) مجمل اللغة لابن فارس (ترك).

٧- الجمعة:

عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: (إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار ، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض)[٢] وفي موضع آخر يقول: (وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض)[٣] وقد نصت المعاجم على تلك العلة فجاء في المقاييس: (وجمع مكة سمى لاجتماع الناس به، وكذلك يوم الجمعة)[٤] وفي المصباح: (ويوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع الناس به)[٥] فاجتماع الناس في المسجد الجامع وصف أساسي لهذا اليوم يتميز به عن غيره.

٨- يوم الجمع:

عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾[٦] يقول: (هو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي

---

(١) سورة الجمعة آية رقم (٩).

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٦٥.

(٣) السابق ١/ ٦٨.

(٤) المقاييس لابن فارس (جمع).

(٥) المصباح المنير للفيومي (جمع).

(٦) سورة التغابن أية رقم ٩.

وينفذهم البصر)[1].

وهذه العلة لم ترد في المعاجم التي اطلعت عليها، فيكون بذلك الذي ذكرها هو ابن كثير، والذي جاء في المعاجم (ويوم الجمع: يوم القيامة)[2] فيكون هذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي فيه، لأن الله يجمع جميع الناس للحساب.

٩- حناناً:

عند قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[3] يقول: (فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها، وحنت المرأة على زوجها، ومنه سميت المرأة حنة من الحنية)[4].

وقد ورد في معاجم اللغة ما يؤكد هذه التسمية ففي المقاييس: والحنة: امرأة الرجل، واشتقاقها من الحنين، لأن كلاً منهما يحن إلى صاحبه)[5]

وفي المصباح: (وحنت المرأة حنينا: اشتاقت إلى ولدها).[6]

فتكون هذه التسمية لوصف أساسي في المرأة وهو الحنان، وفي ليبيا يقولون للجدة (حَنِّى) لكثرة حنوها على أبناء أبنائها.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٧٥.

(٢) المعجم الوجيز لمجمع للغة العربية بالقاهرة (جمع).

(٣) سورة مريم آية رقم ١٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٣.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (حن)

(٦) المصباح المنير للفيومي (حنن).

١٠- يحي:

عند قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: (إنما سمي يحيي لأن الله أحياه بالإيمان)[٢] ولم ترد هذه التسمية في معاجم اللغة لأن هذا تفسير خاص لكلمات القرآن الكريم واجتهاد من قبل المفسرين فيكون هذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي فيه.

١١- الأسباط:

عند قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾[٣] يقول بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط من السبط، وهو التتابع، فهم جماعة، وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر في الكثرة بمنزلة الشجرة الواحدة سبطة[٤].

وقد جاء في المعاجم ما يدل على التتابع ففي المقاييس: (السين والباء والطاء أصل يدل على امتداد شيء... يقال أسبط الرجل اسباطاً إذا امتد وانبسط بعدما يضرب[٥]

وفي المصباح: (والسبط أيضا الفريق من اليهود، يقال للعرب قبائل ولليهود أسباط)[٦]

---

(١) من الآية رقم ٣٩ سورة آل عمران.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦١

(٣) من الآية رقم ١٣٦ سورة البقرة.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٧.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (سبط).

(٦) المصباح المنير للفيومي (سبط).

فالتتابع والامتداد هو أصل هذه الكلمة، فعلة التسمية هو لوصف أساسي في المسمى.

١٢- سلسبيل:

عند قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾[١] يقول: (سميت بذلك لسلاسة سيلها، وحدة جريها، وقيل سميت بذلك لسلاستها في الحلق، واختار أنها تعم ذلك كله.[٢] وقد أكدت المعاجم على علة هذه التسمية (قال الزجاج سلسبيل اسم العين، وهو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين سميت بصفتها).[٣] والمادة تدل على السهولة ففي المقاييس: (يقال هو سهل سلس والسلس جنس من الخرز، ولعله سمي بذلك لسلاسته في نظمه)[٤] فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى صفته الأساسية.

١٣- السماء:

عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٥] يقول: السماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة...)[٦] والمادة في معاجم اللغة تدل على العلو والارتفاع ففي المقاييس: (السين والميم والواو أصل يدل على العلو، يقال

(١) الآية رقم ١٨ من سورة الإنسان.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٦.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى باب رباعي السين ج١٣.

(٤) مقاييس اللغة لابن الفارس (سلس).

(٥) من الآية رقم ٢٩ سورة البقرة

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٦٨.

سموت إذا علوت... والعرب تسمي السحاب سماء والمطر سماء.....وكل عال مطل سماء...) [١]

وفي المصباح: (سما يسمو سمواً: علا)[٢]

فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي في المسمى.

١٤- السائبة:

عند قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [٣] يقول: لأنهم يسيبونها لآلهتهم ويذهبون إلى آلهتهم فيسيبونها)[٤]

والمادة في المعاجم العربية تدل على (استمرار شيء وذهابه.... يقال سيبت الدابة تركتها حيث شاءت.... والسائبة أم البحيرة، وقيل السائبة كل ناقة تسيب لنذر فترعى حيث شاءت)[٥]

فهذا من باب تسمية الشيء لوصف أساسي في المسمى.

١٥- الصاخة:

عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ [٦] يقول: (يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها)[٧]

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (سمو).

(٢) المصباح المنير للفيومي (سمو).

(٣) من الآية رقم ١٠٣ سورة المائدة.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٨

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (سيب).

(٦) الآية رقم ٣٣ سورة عبس.

(٧) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٧٣.

وقد جاء في معاجم اللغة ما يؤكد هذه العلة، ففي المقاييس: (الصاد والخاء أصل يدل على صوت من الأصوات من ذلك الصاخة، يقال إنها الصيحة تصم الآذان)[1] فالصوت العالى الشديد الذي يكاد يصم الآذان هو الملحظ الذي بنيت التسمية على أساسه.

١٦- صياصيهم:

عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾[2]

يقول: (يعنى حصونهم، ومنه سمي صياحي البقر، وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها)[3] وقد نص على هذه العلة ابن فارس: (الصاد والياء كلمة واحدة مطابقة، وهي كل شيء يتحصن به، من ذلك تسميتهم صياحي، ثم شبه بذلك ما يحارب ويتحصن به الديك وسمي صيصيه، وكذلك قرن الثور يسمى بذلك لأنه يتحصن ويحارب به)[4] فقد لحظ في صياحى البقر العلو، وإذا كان الشيء عال فإنه يتحصن به كما هو الحال في الحصون وهي الصياحي، وهذا ما لحظ عند التسمية.

١٧- الطامة:

عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[5] يقول: (سميت بذلك لأنها تطم

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (صخ).
(٢) من الآية رقم ٢٦ سورة الأحزاب.
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٨.
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (صي).
(٥) سورة النازعات آية رقم ٣٤.

على كل أمر هائل مفظع)[1] وقد فسر الطم بأنه: (الأمر إذا علا وغلب، ولذلك سميت القيامة: الطامة)[2]

فقد لحظ في التسمية بلوغ الحد في العلو والغلبة على كل أمر حتى أن الإنسان ينسى كل شيء من هولها وغلبتها وهذا ما لحظ في التسمية.

١٨- العرش:

عند قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[3] وعند قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[4] يقول: (إنما سمي العرش عرشاً لارتفاعه)[5] والمادة في المعاجم العربية كما ذكر ابن فارس تدل على (ارتفاع في شيء مبني ثم يستعار في غير ذلك، من ذلك العرش قال الخليل: العرش: سرير الملك، وهذا صحيح قال الله تعالى: (ورفع أبويه على العرش)[6]. فالملحظ الأساسي في العرش هو الارتفاع فلذلك سمي به، وهذه هي علة التسمية.

١٩- الغرفة:

عند قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا)[7] يقول: (سميت بذلك

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٩.

(٢) مقاييس اللغة والمصباح المنير (طم، طمم).

(٣) من الآية رقم ٧ سورة هود.

(٤) الآية رقم ٨٦ سورة المؤمنون.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣،٤٣٧/ ٢٥٣

(٦) مقاييس اللغة لابن الفارس (عرش).

(٧) من الآية رقم ٧٥ سورة الفرقان.

لارتفاعها)[1] وقد نص أصحاب المعاجم على أن العلو والارتفاع هوما يميز هذه الكلمة ففي التهذيب: (وقال الليث الغرفة العِلِّيَّه، ويقال للسماء السابعة غرفة)[2]. وكذا ورد نفس المعنى عند آخرين[3] فالملحظ الأساسي في التسمية هو العلو والارتفاع وهو وصف أساسي في المسمى.

٢٠- الغاشية:

عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[4] يقول: (الغاشية من أسماء يوم القيامة، لأنها تغشى الناس وتعمهم)[5] وقد أورد ابن فارس المادة: تدل على (تغطية شيء بشيء.... والغاشية القيامة لأنها تغشى الخلق بإفزاعها)[6] وفي التهذيب (والغاشية اسم من أسماء القيامة في القرآن)[7].

فهذه سمة في القيامة لا تتخلف حيث إنها تغطي الناس وتعمهم وتفزعهم فسميت بهذا الاسم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٠.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (غرف).

(٣) المقاييس والمصباح (غرف).

(٤) سورة الغاشية آية رقم ١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٢.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (غشي).

(٧) تهذيب اللغة للأزهرى (غشي).

٢١- الفرقان:

عند قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[١] يقول: (ولهذا سماه ها هنا الفرقان، لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، والغيُّ والرشاد والحلال والحرام)[٢] وهذا وصف أساسي في القرآن الكريم يعرفه الناس جميعاً لذلك أكد على هذه الصفة أصحاب المعاجم، فجاء في المقاييس (والفرقان كتاب الله فرق به بين الحق والباطل)[٣]

فالتفريق بين كل ما ذكر هو السمة الأساسية في القرآن الكريم لحظت فاعتبرت عند التسمية.

٢٢- الإلحاد:

عند قول تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[٤] يقول: (وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر)[٥] وقد صرح بنفس العلة ابن الفارس يقول: (ويسمى اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث[٦]، ويقول الفيومي اللحد الشق في جانبي القبر)[٧]

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٨.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (فرق).

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٨٠.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (لحد).

(٧) المصباح المنير للفيومي (لحد)

وهذه تسمية قائمة على لحظ الصفة الأساسية في المسمى بها وهو الميل والعدول عن القصد.

٢٣- أبو لهب:

عند قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١] يقول: (هو أحد أعمام رسول الله (ﷺ) وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه)[٢] وأقول إن هذه صفة أساسية في هذا الرجل حتى إنها قد غلبت على اسمه وكنيته فاسمه عبد العزى ابن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة، كما أن معاجم اللغة قد أشارت إلى هذا المعنى، ففي التهذيب اللهب اشتعال النار الذي قد خلص من الدخان..... والملهب: الرائع الجمال)[٣]

وهذا ما لحظ عند التسمية وهو الوصف الأساسي.

٢٤- النبذ:

عند قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ﴾[٤] يقول: (أصل النبذ الطرح والإلقاء، ومنه سمي اللقيط منبوذا، ومنه سمي النبيذ وهو التمر والزبيب إذا طرح في الماء)[٥] وقد أكدت المعاجم على هذه العلة، ففي المقاييس: (النون والباء والزال أصل صحيح يدل على طرح وإلقاء، ونبذت الشيء أنبذه نبذاً ألقيته من يدي، والنبيذ: التمر

(١) سورة المسد آية رقم ١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٤.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (لهب).

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٠٠.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١٣٤.

يلقى في الأنية ويصب عليه الماء.... والصبي المنبوذ الذي تلقيه أمه)[١] وفي علة التسمية يقول ابن منظور: (لأن الذي يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً، فينبذ في وعاء أو سقاء ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً)[٢] ويقول الفيومي: (وحب منبوذ مطروح، ومنه سمي النبيذ لأنه ينبذ أي يترك حتى يشتد)[٣] والترك هو العلة الأساسية في كل من اللقيط والنبيذ، فلحظ عله التسمية من ذلك.

٢٥- يوم التناد:

عند قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[٤] يقول: (يعنى يوم القيامة وسمي بذلك لأن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضاً، وقيل ينادي كل قوم بأعمالهم، وقيل ينادي أهل الجنة أهل الجنة، وأهل النار أهل النار)[٥] فمن سمات هذا اليوم ،وأهم ما يميزه أن الناس ينادي بعضهم بعضاً والذي في المعاجم (تنادى القوم: نادى بعضهم بعضاً)[٦]

فأخذت هذه التسمية من هذا الفعل وهو التنادي.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس(نبذ).

(٢) لسان العرب لابن منذور (نبذ).

(٣) المصباح المنير للفيومي (نبذ).

(٤) سورة غافر آية رقم ٣٢

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٩.

(٦) الوجيز مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ندي).

٢٦- الوصيلة:

عند قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [١] يقول: (سميت بذلك لأنها وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم، أو من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن، سميت الوصيلة وتركت فما ولدت جعلت للذكور دون الإناث)[٢] والمادة في المعاجم العربية تدل على (كل شيء اتصل بشيء)[٣] فلحظ عند التسمية الاتصال والوصل دون انقطاع بين الشيئين الموصلين فلذلك سميت الناقة أو الشاة التي تتصف بهذا الوصف بهذه التسمية.

٢٧- الواقعة:

عند قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [٤] يقول: (من أسماء يوم القيامة: سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها)[٥] وقد أكد على هذه العلة ابن فارس فقال: (الواقعة: القيامة لأنها تقع بالخلق فتغشاهم)[٦] ومن معاني الوقوع الثبوت والوجوب[٧] فلحظ في القيامة هذا الأمر، فسميت بذلك وهذا وصف أساسي فيها.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٨.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (وصل).

(٤) سورة الواقعة آية رقم ١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٨٢.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (وقع).

(٧) الوجيز (وقع).

النوع الثاني: ما كان الوصف غير أساسي، إلا أنه فيه أكمل لما يراد منه: وقد وقع هذا النوع في تسع عشرة كلمة في تفسير ابن كثير.

١- أم الكتاب:

عند قوله تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [١] يقول: (هن أم الكتاب: لأنهن مكتوبات في جميع الكتب، أو لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن)[٢] وقد أكد على هذه العلة ابن فارس حين قال: (قال الخليل: كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه فإن العرب تسمي ذلك الشيء أمًّا)[٣] وكذلك فسر ابن كثير أم الكتاب (بأصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه)[٤] بذلك تكون العلة هنا تسمية الشيء لوصف غير أساسي فيه ولكنه فيه أكمل لما يراد به لأن كلمة أم لها أكثر من معنى فقد أرجعها ابن فارس إلى أربعة أصول.

٢- آية:

عند ذكر ابن كثير مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة يقول: (وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بائنة عن أختها قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ ﴾... وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم.... وقيل سميت آية لأنها عجب

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٥.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (أم)

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤.

يعجز البشر عن التكلم بمثلها)[1] وقد أكدت المعاجم على تعليل أحد هذه التسميات فجاء في المقاييس: (ومنه آية القرآن لأنها جماعة حروف والجمع آيٌ)[2]

فما أورده ابن كثير يتضح أن تعليل التسمية في هذه الكلمة هو لوصف غير أساسي في المسمى، لأنه قد اختلف حيالها فقد أورد أكثر من علة لسبب التسمية، فيكون هذا من باب تسمية الشيء لوصف غير أساسي في المسمى.

٣- ابليس:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[3]

وعند قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4] يقول ابن كثير: (فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته)[5] ويقول أيضاً: (وسماه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة ، وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض)[6] وقد أكدت المعاجم على هذه العلة التي ذكرها ابن كثير فجاء في المقاييس: (الباء واللام والسين أصل واحد فالأصل اليأس يقال: أبلس إذا يأس قال تعالى: " إذا هم فيه مبلسون " قالوا: ومن ذلك اشتق اسم إبليس كأنه يأس من رحمة

(١) تفسيرابن كثير ١/ ٧، ٨.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (أيي).

(٣) سورة البقرة آية ٣٤.

(٤) سورة ص آية ٧٤.

(٥) تفسيرابن كثير ١/ ٧٥.

(٦) السابق ٤/ ٤٣.

الله)[1] وجاء في المصباح: (وأبليس أعجمي ولهذا لا ينصرف للعجمه والعلمية، وقيل عربي مشتق من الابلاس وهو اليأس)[2].

لكن هذه ليست صفة إبليس الوحيدة بل فيه صفات كثيرة، ولكن هذه الصفة هي الغالبة فيه وهي أن الله أبلسه أي أبعده من الرحمة، والصفات الأخرى هي الإغواء والضلال والكفران وغيرها من الصفات التي وصف بها، فسمي إبليس بهذه الصفة لأنها هي الغالبة فيه وليست هي الصفة الأساسية، فيكون هذا من باب تسمية الشيء لوصف غير أساسي فيه ولكن فيه أكمل.

٤- المباهلة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[3] يقول: (وسميت هذه المباهلة تمنيا، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره)[4] وقد أكدت المعاجم على ما أورده ابن كثير فجاء في التهذيب (باهلت فلاناً: أي لاعنته، وعليه بَهْلة الله، وبُهْلة الله أي لعنة الله)[5] وجاء في المقاييس: (الابتهال والتضرع في الدعاء والمباهلة يرجع إلى هذا فإن المتباهلين يدعو كل واحد منهما على صاحبه)[6] وجاء في أساس البلاغة (وباهلت فلاناً مباهلة إذا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (أبلس).

(٢) المصباح المنير للفيومي (أبلس).

(٣) سورة البقرة آية ٩٥.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ / ١٢٨.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (بهل).

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (بهل).

دعوتما باللعن على الظالم منكما وتباهلاً وابتهل: التعن " ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين ")[1].

فكأن التمني في المباهلة وصف أو هيئة كانت تحدث عند المباهلة إلا أن هذا التمني ليس أساسيا في المبهالة لجواز أن تتم المباهلة بدونه، وذلك إذا لم تكن هناك حجه في بيان الحق وظهوره، ولكن التمني أكمل وأرسخ عند المباهلة، ولذلك تكون التسمية علتها الوصف غير الأساسي في المسمى.

٥- المحرم:

عند قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[2] يقول: (أي إنما جعلته محرماً ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده).[3]

وقد أكد على المعنى ابن فارس فقال: (الحاء والراء والميم أصل واحد وهو المنع والتشديد، فالحرام ضد الحلال.... والحرمان مكة والمدينة سمي بذلك لحرمتها وأنه حرم أن يحدث فيهما أو يؤوى محدث)[4] وجاء في المصباح: (والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، أي لا يحل انتهاكه)[5] فهذا يدل على أن البيت الحرام سمي بذلك لعلل

(١) أساس البلاغة للزمخشري (بهل).

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٤١.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (حرم).

(٥) المصباح المنير للفيومي (حرم).

كثيرة لكن هذه العلة التي ذكرها ابن كثير وذكرها صاحب المقاييس هي أكمل في المسمى لذلك سمي البيت الحرام بهذا الاسم.

٦- شهر المحرم:

عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: (ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه (المشهور في أسماء الأيام والشهور) أن المحرم سمي بذلك لكونه شهراً محرماً، وعندي (ابن كثير) أنه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاماً وتحرمه عاماً، قال ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم)[٢] وقد جاء في المصباح ما يؤكد المعنى، فجاء فيه (وحرمت الشيء تحريماً وباسم المفعول سمي الشهر الأول من السنة.... وجمع المحرم محرمات.... والممنوع يسمى حراماً تسمية بالمصدر وبه سمي)[٣]

وأرى أن ما ذكره ابن كثير هو الصحيح، لأن التشديد يدل على التأكيد، لأن هذا من قبيل زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، فالمحرم سمي بذلك ليس لهذه العلة، وإنما لعلل أخرى لكن ما ذكر هو أبرز هذه العلل وأتمها لهذا سمي المحرم بهذا الاسم.

٧- الحاقة:

عند قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾[٤] يقول: (الحاقة من أسماء يوم

---

(١) سورة التوبة آية ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٣) المصباح المنير للفيومى (حرم).

(٤) سورة الحاقة آية ١، ٢.

القيامة،لأن فيها تحقق الوعد والوعيد)[1] والذي صرحت به بعض معاجم اللغة غير الذي ذكره ابن كثير فقد جاء في المقاييس: (والحاقة: القيامة لأنها تحق بكل شيء.... وحق إذا وجب وثبت)[2] وتحق بكل شيء أي تقع بكل شيء، وجاء في المصباح: (وحقت القيامة تحق من باب قتل أحاطت بالخلائق فهي حاقة، ومن هنا قيل حقت الحاجة إذا نزلت واشتدت)[3] فابن كثير قد نظر إلى تعليل تسمية الحاقة من زاوية أن الوعد والوعيد يتحقق فيها، ونظر إليها ابن فارس أنها تقع بكل شيء، ونظر إليها الفيومي إلى أنها تحيط بالخلائق، وربما أن كل واحد نظر إليها من زواية وليس الذي ذكر ابن كثير هو الصفة الأساسية، وإنما الذي ذكره هو وصف غير أساسي في الحاقة.

٨- الدينار:

عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾[4] يقول: (إنما الدينار لأنه دين ونار ، وقيل معناه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار)[5] ولم يذكر أحد من أصحاب المعاجم هذا النحت الذي أورده ابن كثير في تفسيره وإنما الذي ورد في المعاجم: (الدال والنون والراء كلمة واحدة وهي الدينار، ويقولون دنروجة فلان إذا تلألأ وأشرق).[6]

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٤١٢.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (حق).

(٣) المصباح المنير للفيومي (حقق).

(٤) سورة آل عمران آية ٧٥.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٤.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (دنر).

وبذلك يكون ابن كثير قد أقر أن هذه الكلمة من باب النحت ولكن النحت يوقف فيه على حد المسموع ولا يجوز القياس عليه.

٩- المسجور:

عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾[١] يقول: (إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة)[٢] كلمة المسجور في اللغة تدل على المملوء، وقد أكدت على ذلك بعض معاجم اللغة ففي المقاييس: (فأما الملء، فمنه البحر المسجور أي المملوء، ويقال للموضع الذي يأتي عليه السيل فيملؤه ساجر)[٣] وقال الفيومي: (سجرته سجراً من باب قتل ملأته وسجرت التنور أوقدته)[٤] وهذا يدل على أن البحار يوم القيامة مملوءة لكنها ليست بالماء وإنما بالنار كما صرح بذلك الفيومي، وقد أورد الأزهرى تفسيراً لهذه الآية نقله عن على ابن أبي طالب يقول الأزهرى: (وقال الفراء في قول الله جل وعز " والبحر المسجور وفي قوله تعالى:" إذا البحار سجرت " كان على بن أبي طالب (ﷺ) يقول: (مسجور بالنار أي مملوء.... وقال الفراء المسجور في كلام العرب المملوء وقد سجرت الإناء وسكرته إذا ملأته)[٥]

فالبحار يوم القيامة لا يشرب منها الماء ولا يسقى بها زرع لأنها ليست مملوءة بالماء وإنما هي مملوءة بالنار وهذا هو السبب في تسميتها لوصف غير أساسي في المسمى.

---

(١) الطور آية رقم ٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٤.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (سجر).

(٤) المصباح المنير للفيومي (سجر).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (سجر).

١٠- الطلقاء:

عند الحديث عن فتح مكة يقول: (فعند ذلك غزاهم رسول الله (ﷺ) في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم ولله الحمد والمنه فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء)[١]. وهذه التسمية متوافقة مع ما صرحت به معاجم اللغة حيث جاء في المقاييس: (الطاء واللام والقاف أصل صحيح مطرد واحد وهو يدل على التخلية والإرسال يقال: انطلق الرجل ينطلق انطلاقاً....)[٢] وجاء في المصباح: (يقال أطلقت الأسير إذا حللت إساره وخليت عنه فانطلق أي ذهب في سبيله، ومن هنا قيل أطلقت القول إذا أرسلته من غير قيد ولا شرط).[٣]

فلكونهم قد أطلقهم رسول الله بعد القهر والغلبة سموا الطلقاء، وهذا لوصف غير أساسي فيهم.

١١- الأعراف:

عند قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ ﴾[٤] يقول: (والأعراف جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه.... والأعراف هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، وإنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس)[٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٣٨.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس(طلق).

(٣) المصباح المنير للفيومي (طلق).

(٤) سورة الأعراف آية ٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

وقد أكدت المعاجم على أن علة تسمية العرف بهذا الاسم لارتفاعه، ففي المقاييس: (العرف: عرف الفرس، وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه)[١]، ويقول الفيومي (وعرف الديك لحمة مستطيلة في أعلى رأسه يشبه بظر الجارية، وعرف الدابة: الشعر النابت في محدب رقبتها)[٢].

أما ما ذكره ابن كثير ولم تصرح به المعاجم فهو تسمية الأعراف بهذا الاسم لأن أصحابه يعرفون الناس، وأقول أنهم يعرفون الناس لأنهم يجلسون في أماكن مرتفعة، وهذا رد إلى المعنى الأصلي الذي تدور عليه المادة اللغوية وهو الارتفاع والتتابع فيكون هذا من باب تسمية الشيء لوصف غير أساسي وغير خاص بالمسمى.

١٢- العصف:

عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾[٣] يقول: (يعني التبن، وهو ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤسه فهو يسمى العصف إذا يبس)[٤] وقد أكد على هذه التسمية ابن فارس حيث قال: (العين والصاد والفاء أصل واحد صحيح يدل على خفة وسرعة، فالأول من ذلك العصف ما على الحب من قشور التبن ،والعصف ما على ساق الزرع من الورق الذي يبس فتفتت كل ذلك من العصف)[٥]

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (عرف).

(٢) المصباح المنير للفيومي (عرف).

(٣) سورة الرحمن آية ١٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧١.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (عصف).

فهذا يدل على أن هذا الورق لا يسمى عصفاً إلا إذا كان يابساً وهذا الوصف غير أساسي في المسمى.

١٣- التغابن:

عند قول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[١] يقول: (هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار)[٢] وذلك لأن أهل النار بالمعاصي التي ارتكبوها في الدنيا يدخلون النار، وأهل الجنة بالطاعات يدخلون الجنة، فهم قد غبنوا أهل النار، وقد أكدت المعاجم على ذلك فقد جاء في المقاييس: (الغين والباء والنون كلمة تدل على ضعف واهتضام، يقال غبن الرجل في بيعه فهو يغبن غبنا، وذلك إذا اهتضم فيه، وغبن في رأيه وذلك إذا ضعف رأيه)[٣] وفي المصباح: (غبنه أي نقصه، وغبن بالبناء للمفعول فهو مغبون أي منقوص في الثمن أو غيره)[٤] فهذه التسمية لوصف غير أساسي في المسمى.

١٤- الفرش:

عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾[٥] يقول: (إنما سمي فرشاً لدنوه من الأرض والفرش "الغنم" لأنها لا يحمل عليها بل تأكلون لحمها،

(١) سورة التغابن آية ٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٧٥.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (غبن)

(٤) المصباح المنير للفيومي (غبن).

(٥) سورة الأنعام آية ١٤٢.

وتتخذون من صوفها لحافاً وفرشا).[1] وبالنظر فيما ذكره ابن كثير نجد أن هذه الصفة التي ذكرها هي إحدى صفات الفرش، وهي أنه لا يمكن الحمل عليه لدنوه من الأرض، وقد ذكر صاحب المقاييس ما يدل على ذلك يقول: (ومن ذلك: الفرش من الأنعام وهو الذي لا يصلح إلا للذبح والأكل)[2] فتسميته بهذه التسمية لوصف غير أساسي في المسمى.

15- الفاضحة:

عند البدء في تفسير سورة (التوبة) وعند الحديث عن قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾[3] يقول: (تسمى هذه السورة الفاضحة لأنها فاضحة للمنافقين ويقول: " تسمى الفاضحة لأن الله بين فيها فضائح المنافقين وما يضمرونه من الأفعال الدالة على نفاقهم)[4]. وهذه تسمية خاصة بابن كثير لم يذكرها أصحاب المعاجم، وإنما الذي ورد في معاجم اللغة ("الفضيحة ": العيب والجمع فضائح، وفضحته: "كشفته")[5] وهذا الملحظ في التسمية لوصف غير أساسي في المسمى ولكنه فيه أكمل من غيره.

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (فرش).

(٣) سورة محمد آية رقم ٢٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٧، ٤/ ١٨٠.

(٥) المصباح المنير للفيومي (فضح).

١٦- ذو القرنين:

عند قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[١] يقول: (قال وهب بن منبه: كان ملكاً، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس أو لأنه ملك الروم وفارس، وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين، وسُئل على (ﷺ) فقال كان عبداً ناصحاً لله فناصحه ودعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين، ويقال إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب)[٢]

من خلال ما تقدم نلاحظ أن هذه أقوال متعددة وكلها جاءت بصفة من صفات هذا الرجل، وتعدد هذه الصفات يدل على أنه سمي بهذا الاسم لوصف غير أساسي في المسمى، وإنما لصفة بارزة فيه، والله أعلم.

١٧- قارون:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾[٣] يقول: (قارون كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله)[٤] فهذه هي إحدى صفات قارون أنه كان يسمى

(١) سورة الكهف آية ٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٠، ١٠١.

(٣) سورة القصص آية ٧٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٩.

المنور لحسن صوته بالتوراة لكن له صفات كثير منها البغي والتكبر على قومه، فهذه التسمية لوصف غير أساسي في المسمى.

١٨- المسيح:

عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[١] يقول: (وسمي المسيح قال بعض السلف لكثرة سياحته وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برأ بإذن الله)[٢] لقد ذكرت المعاجم ما ذكره ابن كثير وزيادة فقد جاء في التهذيب: (قال أبو بكر الأنباري قيل سمي عيسى مسيحاً لسياحته في الأرض وقال أبو العباس سمي مسيحاً لأنه يمسح الأرض أي يقطعها، وروى عن ابن عباس أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، وقال غيره سمي مسيحاً لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص، وقيل سمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً..... وقال شمر سمي عيسى المسيح لأنه مسح بالبركة).[٣]

كما ذكر صاحب المقاييس تعليلاً آخر ذكر فيه علة أخرى يقول وعلى فلان مسحة من جمال كأن وجهه مسح بالجمال مسحاً، ولذلك سمي المسيح (عليه السلام) مسيحاً كأن عليه مسحةً من جمال، ويقولون كأن عليه مسحة ملك)[٤]

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (مسح).

(٤) مقياس اللغة لابن فارس (مسح).

ومن خلال ما سبق فقد تعددت الصفات لذلك نقول بأن علة التسمية هي لوصف غير أساسي في المسمى.

١٩- الإنسان:

عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [١] يقول: (إنما سمي الإنسان لأنه عهد إلي فنسي)[٢]

يلاحظ أن ابن كثير يميل إلى أن الإنسان من النسيان، ولقد ذكر صاحب المصباح هذه القضية وفصل القول فيها فذكر: (والإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع واختلف في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة، فقال البصريون من الأنس فالهمزة أصل ووزنه فعلان، وقال الكوفيون مشتق من النسيان الهمزة زائدة ووزنه أفعان على النقص والأصل إنسيان على أفعلان ولهذا يرد إلى أصله في التصغير فيقال أنيسيان)[٣] وذكر صاحب المقاييس: (وعلى ذلك يفسر قوله تعالى: "نسوا الله فنسيهم" وكذلك قوله سبحانه: " ولقد عهدنا إلى آدم فنسي ولم نجد له عزما" أراد والله أعلم فترك العهد)[٤] وليس النسيان هو الصفة الوحيدة والأساسية في الإنسان لذلك نقول إن هذا من باب تسمية الشيء لوصف غير أساسي في المسمى.

---

(١) سورة طه أية رقم ١١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٣) المصباح المنير للفيومي (أنس).

(٤) مقياس اللغة لابن فارس (نسي).

العلة الثانية
تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه

وقد وردت هذه العلة في تسع وعشرين كلمة:

١- أميون:

عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[١] يقول: (سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله، نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه).[٢] وقد أكد على ذلك أصحاب معاجم اللغة فقد ورد في المصباح: (والأمي في كلام العرب الذي لا يحسن الكتابة فقيل نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة، وقيل نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين)[٣] ويقول الزجاج: (معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه)[٤] وقال ابن منظور: (وفي الحديث إنا أمة الأمية لا نكتب ولا نحسب أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى)[٥]، ونسبة الأمي إلى

(١) سورة البقرة أية ٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١١٦.

(٣) المصباح المنير للفيومي (أمم).

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٥٩.

(٥) لسان العرب لابن منظور (أمم).

طبيعته المولود عليها أولى من أن يقال أنه منسوب إلى أمة العرب - كما ذكر الفيومي - حتى يدخل من هو أمي وليس بعربي.

وهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه وهذا واضح من خلال ما ذكره العلماء.

٢- يثرب:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾[١] يقول: (ويقال إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاذ بن إرم بن سام بن نوح)[٢] وقد أورد الفيومي ما يؤكد ما أورده ابن كثير فقال (يثرب من باب ضرب عتب عليه ولام، وبالمضارع بياء الغائب سمي رجل من العمالقة وهو الذي بنى مدينة النبي (ﷺ) فسميت المدينة باسمه).[٣]

وهذا واضح إلى أن التسمية من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

٣- الحواريون:

عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[٤] يقول: (قيل كانوا قصارين، وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم، والصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت "لكل نبي حواري وحواري الزبير ")[٥]

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٣.

(٣) المصباح المنير للفيومي (ثرب).

(٤) آل عمران أية رقم ٥٢.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٥.

وقد خالف ابن فارس ما قاله ابن كثير حيث قال: (ويقال لأصحاب عيسى (عليه السلام) الحواريون، لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها، هذا هو الأصل، ثم قيل لكل ناصر حواري)[1] فالأصل تبييض الثوب ثم توسع في الدلالة حتى شملت الناصر.

ويقول الفيومي مؤكدا ذلك : (وحورت الثياب تحويراً بيضتها، وقيل لأصحاب عيسى (عليه السلام) حواريون لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها، وقيل الحواري الناصر، وقيل غير ذلك)[2] وعلى هذا فقد أطلق عليهم هذا الاسم مراعاة لعلاقتهم بغيرهم، ويجوز أن يكون قد سموا بذلك مراعاة لوظيفتهم وهي تحوير الثياب.

٤- الخوارج:

عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3] يقول: (لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام... وتقول العرب فسقت الرطبة خرجت عن قشرتها، ولهذا يقال للفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد)[4] ولم يتعرض أحد من أصحاب المعاجم إلى كلمة الخوارج إلا ما ورد في تهذيب اللغة والخوارج: فرقة من أهل الأهواء لهم مقالة على حِدَة)[5] وجاء في الوسيط (الخوارج فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على الامام علي وخالفوا رأيه، ويطلق على من خرج على الخلفاء ونحوهم)[6].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس(حور).

(٢) المصباح المنير للفيومي (حور).

(٣) سورة البقرة آية ٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٦٥.

(٥) تهذيب اللغة للأزهرى (خرج).

(٦) الوسيط مجمع اللغة العربية (خرج).

وهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره لأن الخروج منسوب إلى الرطبة التي خرجت عن قشرتها والفأرة التي خرجت من جحرها للفساد، وقد أخذ اسم الخوارج من ذلك.

٥- الخضر:

عند الحديث عن قصة موسى والخضر في سورة الكهف يقول: (عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من تحته خضراء، والمراد بالفروة ها هنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات)[١] وقد أكد أصحاب المعاجم على ما ورد في تفسير ابن كثير منها ما أورده صاحب الجمهرة من أنه كان إذا جلس في موضع قام وتحته روضة تهتز[٢]، واعتمد ابن دريد هذا الوجه. وجاء في اللسان: (وعن مجاهد أنه إذا صلى في موضع اخضر ما حوله، وقيل ما تحته، وقيل سمي لحسنه وإشراق وجهه تشبيها بالنبات الأخضر الغض)[٣]

وعلى هذا فيكون من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

٦- الخليل:

عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[٤] يقول: (وإنما سمي خليل الله لشدة محبته لربه (ﷻ) لما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها)[٥]. وقد ذكر ابن كثير هذا بعد أن ذكر قصة إسرائيلية تقول إن إبراهيم ذهب ليحضر لأهله طعاماً فلم يجد عند صديقه الذي كان من أهل الموصل فملأ غرائره رملا، ثم نام بعد أن وصل إلى أهله فلما

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٠.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (خضر).

(٣) لسان العرب لابن منظور (خضر).

(٤) سورة النساء آية ١٢٥.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٠.

قام وجد أن أهله قد خبزوا فقال من أين هذا فقالوا من الذي جئت به من عند خليلك، فقال نعم هو من عند خليلي الله فسماه الله بذلك خليلاً.[١]

وقد أكدت المعاجم على أن الخليل معناه الحبيب والصديق فقد جاء في المقاييس: (فأما الخليل الذي يخاللك فمن هذا أيضا كأنكما قد تخاللتما كالكساء الذي يخل)[٢] وفي المصباح: (والخليل الصديق والجمع أخلاء، والخليل الفقير المحتاج).[٣]

وهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه فلكونه أحب الله وأحب عبادته سماه الله خليلاً.

٧- شهر ربيع:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[٤] يقول: (سمي بذلك لارتباعهم فيه والارتباع، الإقامة في عمارة الربع)[٥] وقد أكد على هذه العلة ابن فارس يقول: (والأصل الآخر الإقامة يقال ربع يربع، والربع محلة القول).[٦]

والتسمية باقية وإن ذهبت العلة، ولم يقم الناس في عمارة الربع وانتشروا وتفرقوا، فالعربي هو صاحب الحق في لحظ ما يراه أساسيا أو وجيها لإطلاق اسم بعينه، وقد

(١) السابق ١/ ٥٥٩، ٥٦٠ باختصار.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (خل).

(٣) المصباح المنير للفيومي (خلل).

(٤) سورة التوبة آية رقم ٣٦.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (ربع).

تصادف أن جاء هذا الوقت من العام متزامنا مع وقت إقامة الناس في الربع، فأطلقت هذه التسمية فظلت باقية.[١]

٨- رجب:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[٢] يقول: (رجب من الترجيب وهو التعظيم)[٣].

وقد أكدت المعاجم هذه العلة حيث جاء في مقاييس اللغة: (ومن الباب رجب لأنهم كانوا يعظمونه، وقد عظمته الشريعة أيضاً)[٤] وفي المصباح: (رجبته: مثل عظمته وزناً ومعنى)[٥].

فعلة التسمية أن العرب كانت تعظم هذا الشهر فسمي بهذا الاسم وظلت التسمية باقية حتى وقتنا هذا، وإن كانت الشريعة الإسلامية تعظمه لأنه من الأشهر الحرم، وقد ذكرت العلة مفصلة عند الحديث عن شهر ربيع.

٩- رمضان:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[٦] يقول: (من شدة الرمضاء، وهو الحر رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رماضين وأرمضة، قال وقول من قال إنه اسم من أسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت

---

(١) تعليل التسمية في المصباح المنير د/ نور حامد الشاذلي ص١٠٣ بتصرف.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (رجب).

(٥) المصباح المنير للفيومي (رجب).

(٦) سورة التوبة آية ٣٦.

إليه، قلت قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف، وبينته في أول كتاب الصيام)[1] وقد ورد في المعاجم ما يؤكد ذلك فجاء في المقاييس: (وذكر قوم أن رمضان اشتقاقه من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا اسم الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة فوافق رمضان أيام رمض الحر، ويجمع على رمضانات وأرمضاء)[2] وورد في المصباح: (ورمضان اسم للشهر قيل: سمي بذلك لأن وصفه وافق الرمض، وهو شدة الحر، وجمعه رمضانات وأرمضاء)[3]

وعلى هذا فقد لحظ عند التسمية شيء خارجي قد تعلق به المسمى وارتبط به عند أول التسمية، وهو وقوعه أيام الرمض، وعلى هذا فهو رمضان وإن وافق مقدمه أيام اعتدال الجو أو برودته، فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

١٠- الزحمة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[4] يقول:(اليوم الذي اجتمع فيه قريش للنيل من الرسول سمي يوم الزحمة الذي اجتمعوا عليه من الرأي)[5]. وهذا متفق مع ما جاء في المقاييس (الزاء والحاء والميم أصل يدل على انضمام في شدة، يقال زحمه يزحمه وازدحم الناس)[6] وهذا متفق مع حال قريش عند تشاورها في أمر الرسول فقد ازدحموا، مع شدة في كلامهم بشأن الرسول (ﷺ)، وجاء في المصباح: (الزحمة مصدر... وزحم

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (رمض).

(٣) المصباح المنير للفيومي (رمض).

(٤) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٣.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (زحم).

القوم بعضهم بعضاً تضايقوا في المجالس، وازدحموا تضايقوا في أي موضع كان، ومنه قيل على الاستعارة ازدحم الغرماء على المال)[1]

فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

١١- الزكاة:

عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[2] يقول: (وزكاة المال سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات)[3]

وقد وضح ابن فارس ذلك في معجمه فقال: (الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الطهارة زكاة المال قال بعضهم: (سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال وهو زيادته ونماؤه، وقال بعضهم سميت زكاة لأنها طهارة قالوا وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[4] والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين وهما النماء والطهارة، وقد ذكر الفيومي ما يدل على أن سبب التسمية هو بالنظر إلى علاقته بغيره يقول: (والزكاء بالمد النماء والزيادة يقال زكا الزرع والأرض... وسمي القدر المخرج من المال زكاة لأنه سبب يرجى به الزكاء.... والزكاة اسم منه)[5] فيمكن أن تكون علة هذه التسمية بالنظر إلى وصف غير أساسي في المسمى لأنهم ذكروا أكثر من علة، أو بنسبته إلى غيره وعلاقته به وهو ما أميل إليه.

---

(١) المصباح المنير للفيومي (زحم).

(٢) سورة فصلت آية ٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٩٢.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (زكي).

(٥) المصباح المنير للفيومي (زكو).

١٢- المزدلفة

عند قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾[١] يقول: (وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم)[٢]. وهذه التسمية لحظ فيها علاقة القرب بين هذا المكان وقد أكد على ذلك صاحب المقاييس: (وسميت مزدلفة بمكة لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات)[٣] ويقول الفيومي: (وأزلفت الشيء جمعته، وقيل سميت مزدلفة من هذا لاجتماع الناس بها، وهي علم على البقعة.... وازدلف السهم إلى كذا اقترب)[٤]

فالقرب هو سبب التسمية وعلتها وقد أكد على ذلك ابن منظور (الزلفة: الدرجة والمنزلة – وبسببها يحدث التقدم – وزلفنا له: تقدمنا، وزلف الشيء وزلفه: قدمه، وتزلفوا وازدلفوا أي تقدموا)[٥] ، فهذا من باب تسمي الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره، ونسبته إليه.

١٣- جمادي:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[٦] يقول: (سمي بذلك لجمود الماء فيه، قال: وكانت الشهور في حسابهم لا تدور

(١) سورة البقرة آية ١٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٢.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (زلف).

(٤) المصباح المنير للفيومي (زلف).

(٥) لسان العرب لابن منظور (زلف).

(٦) سورة التوبة آية ٣٦.

وفي هذا نظر إذا كانت شهورهم منوطه بالأهله فلابد من دورانها فعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد...)[1]، فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه يقول ابن فارس: (الجيم والميم والدال أصل واحد وهو جمود الشيء المائع من برد أو غيره يقال جمد الماء يجمد)[2] ويقول صاحب التهذيب: (جمادى لجمود الماء فيه)[3] فإذا أتى جمادى الآن في الصيف فهذا يدل على أنهم سموه بذلك أول ما سموه فهذا يدل على أن سبب التسمية هو بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

١٤- السحر – السحور:

عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[4]

يقول: (وسمي السحور لكونه يقع خفيفاً آخر الليل، والسحر الرئة وهي محل الغذاء وسميت بذلك لخفتها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره أي انتفخت رئته من الخوف، وقالت عائشة (رضي الله عنها): توفي رسول الله (ﷺ) بين سحري ونحرى)[5].

كل هذا مأخوذ من السحر الذي ذكره العلماء أنه عبارة عما لطف وخفي سببه فالسحور سمي بذلك لكونه يقع خفيفاً آخر الليل، والرئة لخفتها في الجسم ولطف مجاريها، وقد أكد هذا المعنى الأزهرى: (والسحور ما يتسحر به وقت السحر.... والسحر

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (جمد).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (جمد).

(٤) سورة البقرة آية ١٠٢.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٧.

ما لصق بالحلقوم وبالمريء من أعلى البطن)[١] وقال ابن فارس: (فالعضو: السحر وهو مالصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن)[٢]. وقد ذكر هذه المعاني صاحب المصباح المنير [٣].

فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره فالمادة كلها تدور حول الخفاء.

١٥- سائمة الغنم:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [٤] يقول: (معناه يديمون عذابكم كما يقال سائمة الغنم من إدامتها الرعي)[٥]

وقد جاءت المعاجم بالمعنى الذي أتى به ابن كثير فجاء في المقاييس: (السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء... ومن الباب سامت الراعية تسوم وأسمتها أنا، قال الله تعالى"فيه تسيمون " أي ترعون)[٦] وجاء في المصباح: (سامت الماشية سوما من باب قال رعت بنفسها ويتعدى بالهمزة فيقال أسامها راعيها)[٧]، وعلى ذلك يكون سبب التسمية وعلتها بالنظر إلى علاقة الشيء بغيره ونسبته إليه.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (سحر).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (سحر).

(٣) المصباح المنير للفيومي(سحر).

(٤) سورة البقرة آية ٤٩.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٩٠.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (سوم).

(٧) المصباح المنير للفيومي (سوم).

١٦- الشريعة:

عند قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١] يقول: (لأنه يشرع فيها إلى الماء)[٢] الشريعة موضع على شاطيء البحر، تشرع منه الدواب أي تتناول الماء بفيها وظهور الشريعة – بمعنى المورد- من ناحية أن الكل يعرفها ويقصدها للإستقاء فهي ظاهرة يؤمها من شاء ومتى شاء.

يقول ابن فارس الشين والراء والعين أصل واحد وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء...[٣] ويقول صاحب المصباح: (الشرعة بالكسر الدين والشرع والشريعة مثله مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء سميت بذلك لوضوحها وظهورها)[٤] ويوميء ابن دريد إلى ملحظ آخر في التسمية وهو قوله: (وشريعة النهر وشرعته حيث ينحدر إلى الماء منه، ومنه سميت شريعة الدين، لأنها المدخل إليه).[٥]

وهكذا فقد تمت التسمية باعتبار علاقة هذا المسمى بغيره، فهو مورد له أو مدخل يسلكه.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٦.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (شرع).

(٤) المصباح المنير للفيومي(شرع).

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد (شرع).

١٧- شعبان:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: (شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة، ويجمع على شاعبين وشعابات)[٢] ، وأقول إن هذا الشهر صادف عند تسميته هذه الحالة التي كان عليها العرب وهى التفرق للغارة أو لطلب المياه فسمي بذلك وإن صادف الآن مجيء هذا الشهر والناس مستقرة وليست متفرقة، وقد جاء في المقاييس ما يدل على ما جاء في تفسير ابن كثير ويؤيده (قال ابن دريد: وسمي شعبان لتشعبهم فيه وهو تفرقهم في طلب المياه)[٣]. فيكون هذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

١٨- شوال:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[٤] يقول: (من شالت الابل بأذنابها، قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات)[٥] ، وقد ذكر ابن فارس والفيومي هذه العلة، وقد لحظ في هذه التسمية ما

(١) سورة التوبة آية ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (شعب).

(٤) سورة التوبة آية ٣٦.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

يحدث خلال هذا الشهر، وكيف أنه أوان ارتفاع اللبن من ضروع الابل، يقول ابن فارس: (وزعم قوم أن شوالاً سمي بذلك لأنه وافق وقت أن تشول الإبل).[١].

ويقول الفيومي: (وزعم ناس أن الشوال سمي بذلك لأنه وافق وقتاً تشول فيه الإبل)[٢]، وتشول فيه الإبل أي ترتفع ألبانها بمعنى تقل، والتسمية باقية وإن ذهبت العلة وانتفخت ضروع الإبل باللبن في هذا الشهر، فالعربي هو صاحب الحق في لحظ ما يراه أساسيا أو وجيهاً لإطلاق اسم بعينه، وقد تصادف أن جاء هذا الوقت من العام متازمناً مع وقت خفت فيه ضروع الإبل وارتفع لبنها، فأطلق هذه التسمية فظلت باقية.[٣] ، وقد أورد ابن منظور في اللسان ما صرح به ابن كثير في تفسيره (أنه سمي بذلك لشولان الناقة فيه بذنبها أي رفعها)[٤]، والتسمية باقية وإن لم تتم هذه العملية:

١٩- صرصر:

عند قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾[٥] ، يقول: (أي باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصراً لقوة صوت جريه)[٦]. وقد نصت المعاجم على هذه العلة فجاء في المقاييس: (الصاد والراء أصول.... الثالث البرد وهو الصِّر..... وأما الرابع فالصوت من ذلك

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (شول).

(٢) المصباح المنير للفيومي (شول).

(٣) تعليل التسمية في المصباح المنير د/ نور الشاذلي ص ١٠٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور (شول).

(٥) سورة فصلت آية ١٦.

(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٩٥.

الصرة شدة الصياح)[1]، وجاء في المصباح: (الصِّر بالكسر البرد.... والصرة الصياح والجلبة)[2]، فعملية تسمية هذا النهر بهذا الاسم بالنظر إلى علاقته بالريح الشديدة البرد ذات الصوت المزعج.

٢٠- صفر:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[3] يقول: (سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حيث يخرجون للقتال والأسفار يقال صفر المكان إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وجمال)[4]، وقد أورد الفيومي ما يدل على هذه العلة فقال: (صفر يقال بيت صفر وزان حمل أي خال من المتاع، وهو صفر اليدين ليس فيها شيء مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالي عن الحروف)[5]، وعلى هذا فقد لحظ عند التسمية شيء خارجي قد تعلق به المسمى وارتبط به عند أول التسمية وهو خلو بيوتهم منهم حيث يخرجون للقتال والأسفار، وعلى هذا فهو صفر وإن جاء عند وجودهم في بيوتهم واستقرارهم فيها.

٢١- الصلاة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[6] يقول: (الصلاة سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجة،

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (صر).

(٢) المصباح المنير للفيومي (صرر).

(٣) سورة التوبة آية ٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٥) المصباح المنير للفيومي (سفر).

(٦) سورة البقرة آية رقم ٣.

وقيل هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب، ومنه سمي المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل.... واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر، والله أعلم).[1]

العلاقة هنا علاقة تقارب يصل إلى درجة التلاصق اللاحق في صلا السابق حيث جاء في اللسان (إنما سمي مصليا لأنه يجيئ ورأسه على صلا السابق وهو مأخوذ من الصلوين لا محالة وهو مكتنفاً ذنب الفرس، فكأنه يأتي ورأسه مع ذلك المكان، يقال صلى الفرس، إذا جاء مصليا).[2]

فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

٢٢- الصنوان:

عند قوله تعالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾[3] يقول: (الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الشجر (الأشجار) ومنه سمى عم الرجل صنو أبيه)[4]، هذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره أو نسبته إليه لأن الكلمة أخذت من الشجر ونسبت إلى عم الرجل، وقد صرح بذلك بعض معاجم اللغة، من ذلك ما ورد في المقاييس: (الصاد والنون والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على تقارب بين شيئين قرابة أو مسافة من ذلك الصنو: الشقيق وعم الرجل صنو أبيه، والأصل في

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور (صلى).

(٣) سورة الرعد آية ٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٠.

ذلك النخلتان تخرجان من أصل واحد فكل واحد منهما على حيالها صنو، والجمع صنوان).[1]

٢٣- عرفات:

عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[2]

يقول: (إنما سميت عرفات لما رواه عبد الرازق أخبرني ابن جريح قال: قال المسيب قال على ابن أبي طالب بعث الله جبريل (عليه السلام) إلى إبراهيم (عليه السلام) فحج به حتى إذا أتى عرفه قال عرفت، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فلذلك سميت عرفات.... وقيل سميت عرفه لأن جبريل كان يري إبراهيم المناسك فيقول عرفت عرفت فسميت عرفات)[3].

وقد أكدت المعاجم على ما جاء في تفسير ابن كثير وزيادة ففي المقاييس: (وأما عرفات فقال قوم سميت بذلك لأن آدم وحواء (عليهما السلام) تعارفا بها، وقال آخرون سميت بذلك لأن جبريل (عليه السلام) علم إبراهيم (عليه السلام) مناسك الحج قال أعرفت، وقال قوم بل سميت بذلك لأنه مكان مقدس معظم كأنه قد عرف[4]، فهذا من باب تسمية الشيء لعلاقته بغيره، وقد يكون من باب تسمية الشيء لوصف غير أساسي في المسمى لاختلاف العلماء حول علة التسمية.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (صنو).

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٢٤١.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (عرف).

٢٤- الفأرة (فويسقة):

عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[١] يقول: (الفاسقين:الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله،فإن الفسق والخروج، ومنه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها لإفساد، ويقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها)[٢]، وقد أوردت المعاجم اللغوية ما يؤكد ذلك ففي المقاييس: (الفسق وهو الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت منه ويقولون إن الفارة فويسقة.....)[٣]، ويقول الفيومي: (ويقال أصل الفسق خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد)[٤] ،فهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

٢٥- القعدة:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٥] يقول: (القعد بفتح القاف – قلت وكسرها – لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة)[٦]، وقد أوردت المعاجم هذه المعاني، فجاء في المقاييس (وذو القعدة: شهر كانت العرب تقعد فيه عن الأسفار، وفي المجمل (عن الغزو)

(١) سورة التوبة آية ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٢.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (فسق).

(٤) المصباح المنير للفيومي (فسق).

(٥) سورة التوبة آية ٣٦.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

وفي اللسان: عن الغزو والمسيرة وطلب الكلأ)[1]، فالتسمية باقية وإن ذهبت العلة ولم يقعد الناس عن القتال والترحال والغزو، فقد تصادف أن جاء هذا الوقت من العام متزامناً مع وقت القعود عن الترحال فأطلقت هذه التسمية وظلت باقية إلى يومنا.

٢٦- الكلالة:

عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ وعند قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[2]، يقول:(الكلالة: من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه وهو من يموت وليس له ولد ولا والد)[3]،وقد ورد في المعاجم ما يؤكد ما جاء في تفسير ابن كثير يقول ابن فارس: (سمي الإكليل لإطافته بالرأس... الكلالة هم الرجال الورثة)[4]، وفي المصباح:(كل ميت لم يرثه ولد أو أب أو أخ أو نحو ذلك من ذوي النسب... والكلالة ما خلا الولد والوالد سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب)[5] وعلى هذا يكون تعليل التسمية هنا بالنظر إلى علاقة الكلالة بالإكليل.

---

(١) المقاييس والمجمل واللسان (قعد).

(٢) آية رقم ١٢و ١٧٦ من سورة النساء.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٢،٤٦٠.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (كلل).

(٥) المصباح المنير للفيومي (كلل).

٢٧- التلاق (يوم التلاق):

عند قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[١] يقول: (يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده، قال ابن عباس يلتقي فيه آدم وآخر ولده، وقيل يلتقي فيه العباد، وقيل يلتقي أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق، وقيل يلتقي الظالم والمظلوم، وقيل يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى عمله من خير وشر)[٢]، وهذا معنى عام قد جاء في أحد معاجم اللغة (وكل شيء استقبل شيء أو صادقه فقد لقيه)[٣]، وهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

٢٨- منسكاً:

عند قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾[٤] قال: (المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما لخير أو شر قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها)[٥] وقد أكدت المعاجم على ذلك فجاء في المقاييس: (المنسك الموضع يذبح فيه الناسك ولا يكون ذلك إلا في القربان وزعم ناس أن المنسك المكان يألفه، وفي نظر)[٦]، وهذه التسمية من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه.

---

(١) سورة غافر آية رقم ١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٤.

(٣) المصباح المنير للفيومي (لقي).

(٤) سورة الحج آية ٣٤.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٤،٢٣٣.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس (نسك).

٢٩ - موضونة:

عند قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾[١] يقول: (مرموله بالذهب يعني منسوجة به، أو مشبكة بالدر والياقوت ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها.... لأنه مضفور، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلىء)[٢]

وهذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه فقد أخذ من وضين الناقة وشبه به سرر أهل الجنة وقد جاء المعنى في تهذيب اللغة: (وقول الله (ﷻ) "على سرر موضونة " قال الفراء الموضونة المنسوجة، وإنما سمت العرب وضين الناقة وضيناً لأنه منسوج)[٣].

(١) سورة الواقعة آية رقم ١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٨٦.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (وضن).

العلة الثالثة
تسمية الشيء بصفة تحولت اسما

وقد وردت هذه العلة في ثماني كلمات هي:

١- سبأ:

عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [١] يقول: (وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له الرائش، لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه فسمي الرائش، والعرب تسمي المال ريشاً ورياشاً)[٢]، وقد أكدت بعض معاجم اللغة على سبب تسمية هذا الاسم فقد جاء في المقاييس: (وسبأ: رجل يجمع عامة قبائل اليمن وتسمى أيضاً بلدهم بهذا الاسم)[٣]، وجاء في المصباح: (سبأ اسم بلد باليمن يذكر فيصرف، ويؤنث فيمنع سميت باسم بانيها)[٤]، بهذا يتضح أن سبأ هذه صفة تحولت لأول من قام بهذه الصفة فسمي بها كما أن ابن كثير ذكر لسبأ هذا اسماً آخر وهو الرائش، وذكر علة هذا الاسم بأنه أول من غنم في الغزو، ورد علة هذه التسمية بالاشتقاق، لأن تعليل التسمية هو نوع من الاشتقاق الأصغر.

٢- ذو الكفل:

عند قوله تعال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [٥] يقول: (وذا الكفل رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له

---

(١) سورة سبأ آية ١٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣١.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (سبي).

(٤) المصباح المنير للفيومي (سبأ).

(٥) سورة الأنبياء آية ٨٥.

ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل).[١]

وقد نبه بعض أصحاب المعاجم على هذه العلة وقد ذكروا أسبابا أخرى غير التي ذكرها ابن كثير من ذلك ما ذكره الأزهري كقوله وأخبرني المنذر عن أبي الهيثم أنه قال: (سمي ذا الكفل لأنه كفل بمائة ركعة كل يوم.... وقال الزجاج: يقال إن ذا الكفل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نبي في أمته فقام بما يجب فيهم، وقيل تكفل بعمل رجل صالح فقام به)[٢]

فهذا يدل على أن سبب هذه التسمية هو الصفة التي اتصف بها فلما لزمته هذه الصفة تحولت إلى اسم وعلم له، وذلك لأن مادة "كفل" كما ذكر صاحب المقاييس تدل على (تضمن الشيء للشيء)[٣] وكما ذكر الفيومي (أن الكفيل هو الضامن والكافل وهو الذي يعول إنسانا وينفق عليه)[٤]

٣- الأنصار:

عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[٥] يقول: (هم الذين قيضهم الله (ﷻ) من الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوا الرسول وآزروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم بمن معه من أصحاب، ووفوا له بما

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٠.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (كفل).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (كفل).

(٤) المصباح المنير للفيومي (كفل).

(٥) سورة الصف آية ١٤.

عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم (ﷺ) وأرضاهم.)[1] وبالنظر في الكثير من المعاجم اللغوية لم أجدها قد نصت على ما نص عليه ابن كثير من تعليل التسمية السابقة، ولكن الذي ورد في المعاجم هو أن " النصر: العون")[2] (وأصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه)[3].

وهذا يدل على أن هذه الصفة وهي معاونه رسول الله ونصرته كانت صفة فيهم، فلما تحققت هذه الصفة فيهم ولزمتهم سموا بهذه الصفة، فيكون ذلك من باب أن هذه الصفة قد تحولت إلى اسم وعلم، والذي سماهم بهذا الاسم كما ذكر ابن كثير هو الله والرسول (ﷺ).

٤- النصارى:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[4] يقول: (وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال أنصار أيضاً... وقيل أنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة)[5]، وبالنظر في الكثير من معاجم اللغة لم أجد أنها نصت على علة التسمية الأولى، والذي ورد أن النصر: (عون المظلوم، والنصرة حسن المعونة)[6] فبذلك تكون هذه صفة كانت فيهم ثم تحولت هذه الصفة إلى اسم، أما

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٦٢.

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (نصر).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (نصر).

(٤) سورة البقرة آية ٦٢.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١٠٣.

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (نصر).

التسمية الثانية فقد ذكر الأزهري: (وقال الليث: زعموا أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة والتنصر الدخول في النصرانية)[١]

٥- نوح:

عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[٢] يقول: (إنما سمي نوحاً لكثرة ما ناح على نفسه)[٣]، فهذه صفة وهي النوح قد تحولت إلى اسم وهو نوح، والذي ذكره أصحاب المعاجم هو: (مقابلة الشيء للشيء.... ومنهم النوح والمناحة لتقابل النساء عند البكاء)[٤] أو (ناحت المرأة على الميت نوحاً)[٥] وقد سمي نوح عبداً شكورا كما ذكر ابن كثير أيضا.

وذكر علة هذه التسمية بقوله: (لأنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمي عبداً شكوراً)[٦]، وهذا أيضا من باب تحول الصفة إلى اسم.

٦- اليهود:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[٧] يقول: (واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة كقول موسى (عليه السلام) " إنا هدنا

(١) السابق نفسه.

(٢) سورة الأعراف آية ٥٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٣.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (نوح).

(٥) المصباح المنير للفيومى (نوح) وكذا تهذيب اللغة للأزهري (ناح).

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤.

(٧) سورة البقرة آية ٦٢.

إليك "" أي تبنا فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض، وقيل لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب، وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة).[1]

وقد ذكر أصحاب المعاجم بعض العلل التي ذكرها ابن كثير، فقد ذكر الأزهرى: (وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا أي ثابوا)[2] أي رجعوا.

وجاء في المقاييس: (فأما اليهود فمن هاد يهود إذا تاب هَوْداً وسموا به لأنهم تابوا عن عبادة العجل، وفي القرآن "إنا هدنا إليك" وفى التوبة: (هوادة حال وسلامة)[3]، وجاء في المصباح: (واليهود نسبة إلى يهود بن يعقوب (عليه السلام))[4]. وقد ذكر ابن كثير علل أخرى لهذه التسمية لم يذكرها أصحاب المعاجم، كما نقل ابن كثير عن على ابن أبي طالب قوله: (إنما سميت اليهود لأنهم قالوا إنا هدنا إليك)[5] فهذا كله من باب تسمية الشيء بصفة تحولت إلى اسم.

٧- وفّى:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[6] يقول: (عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله (ﷺ) قال: (ألا أخبركم لم سمى الله تعالى إبراهيم خليله الذي

(١) تفسيرابن كثير ١/ ١٠٣.

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى (هاد).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (هود).

(٤) المصباح المنير للفيومي (هود).

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٠.

(٦) سورة النجم آية ٣٧.

وفى؟ إنه كان يقول كل ما أصبح وأمسى "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون " حتى ختم الآية).[1]، فالذي علل هذه التسمية وذكرها هو رسول الله (ﷺ) فلما كان إبراهيم (عليه السلام) قد التزم بقول هذه الآية فقد كانت هذه صفة فيه، ثم تحولت هذه الصفة إلى اسم سماه الله به ولم ترد هذه العلة في معاجم اللغة.

٨- أصحاب اليمين:

عند قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾.[2] يقول: (حدثنا أبو حمزة عن أبي الصيف – قلت وكان من أصحاب معاذ ابن جبل – قال: يدخل الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين، قلت لم سموا أصحاب اليمين؟ قال لأنهم قد عملوا بالسيئات والحسنات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرءوا سيئاتهم حرفاً حرفاً وقالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا فعند ذلك محا الله السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا " هاؤم أقرءوا كتابيه " فهم أكثر أهل الجنة)[3]، فهذه صفة صنف من أهل الجنة لما أعطوا كتابهم بيمينهم سموا بعد ذلك بهذا الاسم، وهذا الاسم متكرر في القرآن الكريم أكثر من مرة، ولم يرد عن هذا الأمر شيء في معاجم اللغة التي اطلعت عليها.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٨.

(٢) سورة الفرقان آية ٧٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٨.

العلة الرابعة
تسمية الشيء بوظيفته أي عمله أو بخواصه وصفاته في عمله

وقد وردت وتحققت هذه العلة في سبع كلمات هي:

١- الجوارح:

عند قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾[١] يقول: (وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن جوارح من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خيراً أي كسبهم خيراً، ويقولون فلان لا جارح له أي لا كاسب له، وقال الله تعالى:" ويعلم ما جرحتم بالنهار" أي كسبتم من خير وشر)[٢]، وقد نص على هذه العلة بعض أصحاب المعاجم اللغوية ومنهم الأزهرى في التهذيب، فقد أورد سبب التسمية صراحة بقوله: (والجوارح من الطير والسباع: ذوات الصيد، الواحدة جارحة، فالبازي جارحة والكلب الضاري جارحة، سميت جوارح لأنها كواسب أنفسها من قولك جرح واجترح إذا كسب)[٣]، كما نبه إلى علة هذه التسمية صاحب المقاييس بقوله: (وإنما سمي ذلك اجتراحاً لأنه عمل بالجوارح وهي الأعضاء الكواسب، والجوارح من الطير والسباع ذوات الصيد)[٤]، وقد نص الفيومي على هذه العلة أيضا بقوله: (وجرح واجترح عمل بيده واكتسب، ومنه قيل لكواسر الطير والسباع

---

(١) سورة المائدة آية ٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٦.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (جرح).

(٤) المقاييس ابن فارس (جرح).

جوارح جمع جارحه لأنها تكتسب بيدها، وتطلق الجارحة على الذكر والأنثى كالراحلة والراوية).[1]

من كل ما سبق يتضح مما ذكر ابن كثير وأصحاب المعاجم أن علة تسمية الجوارح بهذا الاسم هو من باب تسمية الشيء بعمله أو وظيفته والعلة متحققة فيه بالصورة المثلى، فكان الملحظ الذي بنيت التسمية على أساسه.

٢- الجن:

عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾[2] يقول: (وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازنا....)[3] هذا ما أورده ابن كثير ولكن الذي ورد في معاجم اللغة هو الاستتار والتخفي، فقد جاء في المقاييس: (والجن سموا بذلك لأنهم مستترون عن أعين الخلق)[4]، ونستطيع بقليل من التأمل أن نرد علة التسمية التي ذكرها ابن كثير إلى ما ورد في معاجم العربية فالجنة سميت بهذا الاسم لأنها تستر من بداخلها، وذلك لكثرة أشجارها والتفاف أغصانها فالجن سموا بذلك لأنهم يعملون في شيء يُخفى من بداخلة، فهم بذلك مستترون عن أعين من ينظر إليهم فلا يكاد يراهم، فلذلك تكون العلة واضحة من هذه الجهة.

---

(١) المصباح المنير للفيومي (جرح).

(٢) سورة البقرة آية ٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٧٦.

(٤) المقاييس لابن فارس (جن).

٣- حِجْر

عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[١] يقول: (وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر اليمامة، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف " ويقولون حجرا محجورا" كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب)[٢].

وهذا متفق مع ما جاء في معاجم اللغة من ذلك ما ورد في المقاييس: (والعقل يسمى حجراً لأنه يمنع من إتيان مالا ينبغي كما سمي عقلا تشبيها بالعقال، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[٣]

مما سبق يتضح أن علة التسمية هي الوظيفة التي هي المنع، فالعقل يمنع صاحبه من التصرف بسفه، كما أن ابن كثير قد رد معانٍ أخرى إلى هذا المنع وهو حجر البيت وحجر اليمامة وحجر الحاكم على السفيه من التصرف في ماله، ثم قال ابن كثير "كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب " فهذا من باب تسمية الشيء بوظيفته وعمله، وهذا الأمر متحقق في هذا الاسم متيقن فيه.

٤- الغمام:

عند قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾[٤] يقول: (وهو جمع غمامة سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواريها ويسترها وهو السحاب

(١) سورة الفجر آية ٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٧.

(٣) المقاييس لابن فارس (حجر).

(٤) سورة البقرة آية ٥٧.

الأبيض)[1]، وهذا من باب تسمية الشيء بوظيفته حيث إن وظيفة هذا الغمام هو تغطية السماء، وقد أورد ابن فارس أن أصل هذه المادة يدل على: (تغطية وإطباق، تقول غممت الشيء أغمه أي غطيته... ومن الباب الغمام جمع غمامة، وقياسه واضح)[2]، وذكر الفيومي أن معنى الغمام: (هو السحاب، وهو غيم رقيق أو ضبابة)[3] فتلك وظيفة للغمام لحظت عند التسمية.

٥- الفاتحة:

عند بداية تفسير سورة الفاتحة يقول: ويقال لها الفاتحة لأنها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف)[4]، وأرى أن هذا من باب تسمية الشيء بالنظر إلى وظيفته وعمله حيث إن الفاتحة يفتتح بها القراءة في الصلاة، وقد صرح بذلك الفيومي فقال: (وفاتحة الكتاب: سميت بذلك لأنه يفتتح بها القراءة في الصلاة، وافتتحته بكذا ابتدأته).[5]

٦- الكافر:

عند قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[6] يقول: (والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٩٤.

(٢) المقاييس لابن فارس (غم).

(٣) المصباح المنير للفيومي (غمم).

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٩.

(٥) المصباح المنير للفيومي (فتح).

(٦) سورة التوبة آية ٣٢.

والزارع كافر لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال: "يعجب الكفار نباته "[1]، وقد جاءت المعاجم بما يتفق مع هذا المعنى، فقد جاء في التهذيب: (والعرب تقول للزارع: كافراً لأنه يكفر البذور المبذورة في الأرض بتراب الأرض التي أثارها ثم أمَّر عليها مالقه، ومنه قول الله جل وعز " كمثل غيث أعجب الكفار نباته أي أعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية ما يستحسن)[2] وجاء في المقاييس: (ويقال للزارع كافر لأنه يغطي الحب بتراب الأرض... والكفر ضد الإيمان سمي لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها)[3].

وجاء في المصباح: (كفر النعمة، أي غطاها مستعار من كفر الشيء إذا غطاه هو أصل الباب، ويقال للفلاح كافر لأنه يكفر البذر أي يستره)[4].

إذاً فهذا من باب تسمية الشيء باسم وظيفته التى تقوم على ستر الأشياء وتغطيتها.

٧- اللَّاتَّ:

عند قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾[5] يقول: (اللَّاتَّ: بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلاً يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه)[6]،

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩.

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى (كفر).

(٣) المقاييس لابن فارس (كفر).

(٤) المصباح المنير للفيومي (كفر).

(٥) سورة النجم آية ١٩.

(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٣.

وقد ورد في المعاجم ما يؤكد ذلك ويقويه، فقد جاء في المقاييس (اللام والتاء كلمة واحدة يقال: لت السويق بالسمن يلته لتا والفاعل لات)[1]، وجاء في المصباح: (لت الرجل السويق لتًّا من باب قتل: بلّه بشيء من الماء وهو أخف من البس).[2]

مما سبق يتضح أن هذا من قبيل تسمية الشيء باسم عمله أو وظيفته وقد يكون أيضا من باب تسمية الشيء بصفة تحولت هذه الصفة اسما فيمكن أن نلحظ في هذه الكلمة هذا الملحظ أو ذاك.

(١) المقاييس لابن فارس (لت).

(٢) المصباح المنير للفيومي (لتت).

العلة الخامسة
تسمية الشيء باسم مادته المتكون منها جرمه

وقد وردت هذه العلة في تسميتين في تفسير ابن كثير:

١- آدم:

عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[١] يقول: (إنما سمي آدم طيناً لأنه مخلوق منه)[٢] وبالنظر في معاجم اللغة تبين أنها نصت على تعليل هذه التسمية، فقد ورد في تهذيب اللغة: (وقال الزجاج: يقول أهل اللغة: آدم: اشتقاقه من آديم الأرض لأنه خلق من تراب، وكذلك الأدمة إنما هي مشبهة بلون التراب ونحو ذلك)[٣] وورد في مقاييس اللغة: (ولذلك سمي آدم (عليه السلام) لأنه أخذ من أدمة الأرض)[٤].

مما سبق يتضح أن سبب تسمية آدم بهذا الاسم، أو تسميته طيناً لأنه مخلوق منه، وهذا من باب تسمية الشيء باسم مادته المتكون منها جرمه كما ذكرت سلفاً.

٢- حواء:

عند قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٥]

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (أدم).

(٤) المقاييس لابن الفارس (أدم).

(٥) سورة البقرة آية ٣٥.

لقد ذكرت هذه العلة في خبر أورده عن "ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي وحيشاً ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت؟ قالت امرأة، قال ولم خلقت؟ قالت لتسكن إليَّ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم؟ قال حواء قالوا ولم حواء؟ قال إنها خلقت من شيء حي).[1]

مما سبق يتضح أن سبب تسمية حواء بهذا الاسم أنها خلقت من شيء حي وهو ضلع أو شق آدم الأيسر، إذا فهي مشتقة من (حيي) ومما يدل على ذلك ما أورده الزمخشري: (ويقول الرجل لصاحبه: كيف الحي، كما يقال كيف الأهل، يريد امرأته).[2]

فعلة تسمية حواء بهذا الاسم ظاهرة وهي أنها خلقت من شيء حي وهذا من باب تسمية الشيء باسم مادته وجرمه الذي خلق منه.

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٧٩.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (حيي)

العلة السادسة
تسمية الشيء بملابسة زماناً

وجاء على هذه العلة اسمان:

١- الحجة (ذو الحجة):

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[١] يقول: (الحجة بكسر الحاء – قلت وفتحها – سمي بذلك لإقامتهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة)[٢] والذي جاء في معاجم اللغة لم يذكر هذه العلة وإنما الذي ورد: (الحجة وهي السنة، وقد يمكن أن يجمع هذا إلى الأصل الأول، لأن الحج لا يكون إلا مرة واحدة، فكأن العام سمي بما فيه من الحج حِجَّة)[٣]، وجاء في المصباح المنير: (والاسم الحج بالكسر والحجة المرة بالكسر. على غير قياس والجمع حجج مثل سدرة وسدر: قال ثعلب: قياسه الفتح ولم يسمع من العرب وبها سمي الشهر ذو الحجة بالكسر. وبعضهم يفتح في الشهر وجمعه ذوات الحجج)[٤]

إذن فالشهر سمي بهذا الاسم لأن الحج يكون فيه كما صرح بذلك ابن كثير وأكد على هذا ابن فارس فهذا من باب تسمية الشيء بملابسه زماناً.

---

(١) سورة التوبة آية ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

(٣) المقاييس لابن فارس (حج).

(٤) المصباح المنير للفيومي (حجج).

٢- العتيق (البيت العتيق):

عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[١]

يقول: (إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه اعتق يوم الغرق زمان نوح، وقيل اعتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه وقيل لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك).[٢]

وقد أكد أصحاب المعاجم على بعض هذه العلل السابقة فجاء في المقاييس: قال الخليل: البيت العتيق: الكعبة لأنه أول بيت وضع للناس قال الله تعالى: " وليطوفوا باليت العتيق "، ويقال سمي بذلك لأنه اعتق من الغرق أيام الطوفان فرفع، ويقال أعتق من الحبشة عام الفيل، ويقال اعتق من أن يدعيه أحد فهو بيت الله تعالى).[٣]

فهذا من باب تسمية الشيء بملابسه زماناً لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح، ولهذا سمي البيت العتيق بهذا الاسم.

---

(١) سورة الحج آية ٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٨.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (عتق).

العلة السابعة
تسمية الشيء بما يشبهه

وعليه جاءت كلمة واحدة هي:

١- محسوراً:

عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[١] يقول: (ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو كالدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فإنها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال....)[٢].

ففي هذه الآية شبه الإنسان بالدابة التي عجزت عن السير فكذلك الإنسان الذي لا يحسن التصرف في ماله فإنه يعجز عن مواصلة السير في حياته، وقد نصت المعاجم على أن الحسير هو الضعف ففي المقاييس: (ومنه ناقة حسرىٰ إذا ظلعت)[٣]، وفي المصباح: (وحسر الماء نضب عن موضعه)[٤].

فهذا من باب تسمية الشيء بما يشبهه.

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧.

(٣) المقاييس لابن فارس (حسر).

(٤) المصباح المنير للفيومي (حسر).

العلة الثامنة
تسمية الشيء بما يئول إليه

وعليها جاءت كلمة واحدة هي:

١- الطور:

عند قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾[١] يقول: (والطور هو الجبل، وقال بعضهم إنما يسمى طوراً إذا كان فيه شجر فإن عرى عنها سمي جبلا لا طوراً والله أعلم)[٢] وقد ورد قول لابن كثير عن تفسير صدر "سورة الطور " يقول: (فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل)[٣]

ولم يذكر أحد من أصحاب المعاجم التي اطلعت عليها سبب هذه التسمية، وإنا الذي ورد في المقاييس هو: (والطور: جبل فيجوز أن يكون اسما علما موضوعاً، ويجوز أن يكون سمي بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضاً)[٤].

فلم يذكر ابن فارس تلك العلة التي ذكرها ابن كثير، وإنما ذكر علة أخرى وهي كونه فيه امتداد طولا وعرضا ولكن ابن كثير ذكر هذه العلة في موضعين من تفسيره فقد أكد عليها، وهذه العلة هي تسمية الشيء بما يئول إليه.

---

(١) المؤمنون آية رقم ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٣.

(٣) السابق ٤/ ٢٣٩.

(٤) المقاييس لابن فارس (طور).

العلة التاسعة
تسمية الشيء بمجاوره

وقد ورد على هذه العلة كلمة واحدة هي:

١- الآخرة:

عند قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[١] يقول: (وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا)[٢]، ولم يذكر أصحاب المعاجم سبباً لهذه التسمية وإنما الذي ورد في التهذيب: (الآخر والآخرة: نقيض المتقدم والمتقدمة).[٣]

وفي القاموس: (والآخرة والأخرى: دار البقاء).[٤]

فالذي علل لهذه التسمية هو ابن كثير وهذا من باب تسمية الشيء بمجاوره لأن الآخرة تأتي بعد الدنيا ولا تذكر الدنيا إلا ويعقبها ذكر الآخرة.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٣.

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى (أخر).

(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي (أخر).

العلة العاشرة
تسمية الشيء باسم جزئه

وعلى هذه وردت كلمة واحدة هي:

١- السورة:

عند ذكر: (مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة) يقول: (سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه مأخوذة من أسار الإناء وهو البقية، وعلى هذا فيكون أصلها مهموز.... وقيل لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة قلت (ابن كثير) ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره).[١]

ذكر ابن كثير في القول السابق أقوالا متعددة لتعليل تسمية السورة بهذا الاسم ولكنه رجح أحد هذه الأقوال بقوله ويحتمل دليل على أنه لا يريد الجزم بقوله الذي ذكره، وقد وردت بعض الأقوال في المعاجم تتفق مع ما ذكره ابن كثير فقد جاء في تهذيب اللغة (وأخبرني عن أبي العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: السورة الرفعة وبها سميت السورة في القرآن أي رفعة وخير).[٢]

وجاء في المقاييس: (السين والواو والراء أصل يدل على علو وارتفاع.... والسور جمع سورة وهي كل منزلة من البناء).[٣]

وعلى هذا يكون تسمية السورة من تسمية الشيء باسم جزئه كما نقل ابن كثير أو من باب تسمية الشيء بوصف غير أساسي فيه كما احتمل ابن كثير.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٧.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (سار).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (سور).

الخاتمة

بعد التطوافة المباركة في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير استطاع البحث أن يخرج بالنتائج التالية:

- تفسير ابن كثير من التفاسير التي غلبت عليها نزعة التفسير بالمأثور حيث أنه فسر القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين وقد اقتفى في ذلك أثر أستاذه وشيخه ابن جرير الطبري الذي كان ينقل عنه في كثير من المواقف.
- كان ابن كثير مثالاً للأمانة العلمية، لأنه كان ينسب معظم الأقوال لأصحابها فيقول قال ابن جرير، قال ابن عباس، وإن كانت الفكرة عامة قال: ذكر علماء اللغة، نقل عن بعضهم.
- المسميات وعللها في تفسير القرآن العظيم لابن كثير بلغت ثمان وتسعين كلمة عثرت عليها في التفسير بأجزائه الأربعة.
- بلغ عدد الألفاظ التي جاءت علة التسمية فيها لوصف في المسمى سواء كان هذا الوصف أساسي أو غير أساسي ست وأربعين لفظة بنسبة ٤٧٪ من الألفاظ وهذا يعني أن هذه العلة هي أكثر ما يراعى عند التسمية.
- وبلغ عدد الألفاظ التي جاءت علة التسمية فيها النظر إلى علاقة الشيء بغيره ونسبته إليه تسعاً وعشرين لفظة بنسبة ٢٩.٥٪ من الألفاظ.
- أما العلة التي جاءت في المرحلة الثالثة هي تسمية الشيء بصفة تحولت اسما، وقد جاءت في ثمان كلمات بنسبة ٨.٥٪ من الكلمات.
- وتسمية الشيء بوظيفته أي عمله وخواصه وصفاته في العمل جاءت في سبع كلمات بنسبة ٧.٥٪ من عدد الألفاظ.

- أما بقية العلل الأخرى فقد تراوحت ما بين لفظتين، أو لفظة واحدة أي بنسب قليلة.
- من خلال مطالعتي في التفسير وجدت أن الحافظ ابن كثير تمتع بثراء لغوي أعانه استحضار الشواهد الشعرية التي تؤكد فكرته وتوضح وجهته.
- كما أن هناك أمراً هاماً ينبغي الإشارة إليه، وهو أن تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير مليء بالغرر اللغوية، والإشارات النحوية التي تحتاج إلى باحثين مهرة متخصصين في هذه الميادين يكشفون عنها ويدرسونها.

ولله الحمد والمنة في الأولى والآخرة ،،،،،

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: كتاب الله تعالى

- أساس البلاغة، للزمخشري، دار الفكر، بيروت لبنان.
- الاشتقاق لابن دريد تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط١ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- أصوات اللغة العربية، د/ محمد حسن جبل ط٢ ١٩٩٣م.
- البدر الطالع من بعد القرن السابع، محمد بن على الشوكاني، ط١، ١٣٤٨هـ مطلعة السعادة.
- تعليل التسمية في المصباح المنير، د/ نور حامد الشاذلي، ط١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت لبنان ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان.
- تهذيب اللغة للأزهرى، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- جمهرة اللغة لابن دريد، طبعة الحلبي بمصر.
- حولية كلية اللغة العربية بالمنصورة مقال أ.د/ محمد حسن جبل عن تعليل التسمية، العدد العاشر.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح العماد الحنبلي، مكتبة القدس.
- فقه اللغة وخصائص العربية، أ/ محمد المبارك دار الفكر بيروت ط٥، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

- فقه اللغة العربية د / حسن الباجورى ،د/ صبري القلش ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط للفيروز ابادي، دار الفكر بيروت لبنان.
- كتاب الأضداد لابن الأنباري تح/ أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.
- مباحث في علوم القرآن، منيع القطان مؤسسة الرسالة ط ٢٧، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م.
- المبهج في تفسير شعراء ديوان الحماسة لابن جنى، ط دار الكتاب العربي بيروت ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- مجمل اللغة لابن فارس دار الفكر بيروت لبنان.
- المزهر في عوم اللغة وأنواعها للسيوطي تح/ محمد جاد المولى وآخرين طبعة دار الجيل بيروت لبنان.
- المصباح المنير للفيومي المكتبة العصرية بيروت لبنان.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل شلبي ط القاهرة ١٩٧٤م.
- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- مقاييس اللغة العربية لابن فارس تح / عبد السلام هارون طبع دار الجيل بيروت لبنان.
- المنهل الصافي والمستوفى لابن تغري جمال الدين أبو المحاسن تح / د / محمد محمد أمين د/ سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩٧١
التمهيد – نسبه – مولده ونشأته – حياته العلمية	٩٧٤
شيوخه – تلاميذه – كتبه – وفاته – منهج ابن كثير في التفسير	٩٧٥
الاهتمام بالقضايا اللغوية في تفسير ابن كثير	٩٧٨
المبحث الأول: تعليل التسمية – المراد بتعليل التسمية	٩٨٢
طريقة العرب في توليد الألفاظ	٩٨٤
تعليل التسمية في الجاهلية	٩٨٥
تعليل التسمية في الإسلام - تعليل التسمية يحل بعض مشكلات اللغة العربية	٩٨٧
ملاحظ التسمية	٩٩١
لمبحث الثاني: تعليل التسمية في تفسير ابن كثير جمعاً ودراسة	٩٩٥
لعلة الأولى: تسمية الشيء بوصف فيه	٩٩٥
(الوصف الأساسي)	٩٩٥
الآزفة	٩٩٥
المؤمنين	٩٩٦
البدعة	٩٩٧
الأبرار - بكة	٩٩٨
الترك	٩٩٩

الجمعة – يوم الجمع	١٠٠٠
حناناً	١٠٠١
يحي – الأسباط	١٠٠٢
سلسبيل – السماء	١٠٠٣
السائبة – الصاخة	١٠٠٤
صياصيهم – الطامة	١٠٠٥
العرش – الغرفة	١٠٠٦
الغاشية	١٠٠٧
الفرقان – الإلحاد	١٠٠٨
أبو لهب – النبذ	١٠٠٩
يوم التناد	١٠١٠
الوصيلة – الواقعة	١٠١١
(الوصف غير الأساسي)	١٠١٢
أم الكتاب – آية	١٠١٢
ابليس	١٠١٣
المباهلة	١٠١٤
المحرم	١٠١٥
شهر المحرم – الحاقة	١٠١٦
الدينار	١٠١٧
المسجور	١٠١٨
الطلقاء – الأعراف	١٠١٩

العصف	١٠٢٠
التغابن – الفرش	١٠٢١
الفاضحة	١٠٢٢
ذو القرنين – قارون	١٠٢٣
المسيح	١٠٢٤
الإنسان	١٠٢٥
لعلة الثانية: تسمية الشيء بالنظر إلى علاقته بغيره ونسبته إليه	١٠٢٦
أميون	١٠٢٦
يثرب – الحواريون	١٠٢٧
الخوارج	١٠٢٨
الخضر – الخليل	١٠٢٩
شهر ربيع	١٠٣٠
رجب – رمضان	١٠٣١
الزحمة	١٠٣٢
الزكاة	١٠٣٣
المزدلفة – جمادي	١٠٣٤
السحر – السحور	١٠٣٥
سائمة الغنم	١٠٣٦
الشريعة	١٠٣٧
شعبان – شوال	١٠٣٨
صرصر	١٠٣٩

صفر – الصلاة	١٠٤٠
الصنوان	١٠٤١
عرفات	١٠٤٢
الفأرة – القعدة	١٠٤٣
الكلالة	١٠٤٤
التلاق – منسكاً	١٠٤٥
موضونة	١٠٤٦
لعلة الثالثة: تسمية الشيء بصفة تحولت اسما	١٠٤٧
سبأ – ذو الكفل	١٠٤٧
الأنصار	١٠٤٨
النصارى	١٠٤٩
نوح – اليهود	١٠٥٠
وفَّى	١٠٥١
أصحاب اليمين	١٠٥٢
لعلة الرابعة: تسمية الشيء بوظيفته أي عمله أو بخواصه وصفاته في عمله	١٠٥٣
الجوارح	١٠٥٣
الجن	١٠٥٤
حِجْر – الغمام	١٠٥٥
الفاتحة – الكافر	١٠٥٦
الْلَّاتَّ	١٠٥٧
العلة الخامسة: تسمية الشيء باسم مادته المتكون منها جرمه	١٠٥٩

آدم – حواء	١٠٥٩
لعلة السادسة: تسمية الشيء بملابسة زماناً	١٠٦١
الحجة (ذو الحجة)	١٠٦١
العتيق (البيت العتيق)	١٠٦٢
لعلة السابعة: تسمية الشيء بما يشبهه	١٠٦٣
محسوراً	١٠٦٣
لعلة الثامنة: تسمية الشيء بما يئول إليه	١٠٦٤
الطور	١٠٦٤
لعلة التاسعة: تسمية الشيء بمجاوره	١٠٦٥
الآخرة	١٠٦٥
لعلة العاشرة: تسمية الشيء باسم جزئه	١٠٦٦
السورة	١٠٦٦
الخاتمة	١٠٦٧
فهرس المراجع	١٠٦٩
فهرس الموضوعات	١٠٧١

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.